الرسالة ٤١٧

العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في القرآن الكريم
دراسة دلاليّة

د. إسلام محمّد عبد السّلام أحمد
قسم اللّغات والتّرجمة
المعهد العالي للدّراسات النّوعيّة - الهرم
جمهورية مصر العربية

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الخامسة والثلاثون - ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤م

المؤلف:

د. إسلام محمّد عبد السّلام أحمد:

- دكتوراه النّحو والصّرف والعروض، جامعة القاهرة، دار العلوم «فرع الفيوم».

- أستاذ النّحو والصّرف المساعد، رئيس قسم اللّغات والتّرجمة، المعهد العالي للدّراسات النّوعية بالهرم.

المؤلّفات والبحوث العلميّة:

١ - تصحيح شواهد التّوضيح والتّصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك–مجلّة كلّيّة دار العلوم - جامعة الفيوم، ١٢/ ٢٠٠٤م.

٢ - الإحالة في نحو النّصّ "دراسة تطبيقيّة على سورة الإسراء" –مؤتمر كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم "اللّغة العربيّة والعلوم الإسلاميّة واستشراف المستقبل"، ٣/ ٢٠٠٦م.

٣ - ظاهرة الحذف ودورها في التّماسك النّصّيّ "دراسة تطبيقيّة على سورة البقرة"، مجلّة فكر وإبداع، رابطة الأدب الحديث، جامعة عين شمس، ٤/٢٠٠٧م.

٤ - قضايا نحويّة للأخفش الأوسط بين آرائه في معاني القرآن وروايات العلماء عنه، مجلّة دار العلوم، جامعة الفيوم، ١٢/ ٢٠٠٧م.

٥ - اسم الفاعل بين التّنوين والإضافة في القرآن الكريم: دراسة دلاليّة، مجلّة جامعة الملك فيصل، المملكة العربيّة السعوديّة، ٢٠٠٩م.

٦ - أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة: دراسة تطبيقيّة على آي القرآن الكريم، مجلّة دار العلوم، جامعة القاهرة، ٦/ ٢٠١١م.

٧ - منهج الأعلم الشنتمريّ وآراؤه في كتابه (النّكت في تفسير كتاب سيبويه)، رسالة دكتوراه، كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠٠٣م.

٨ - بناء الجملة الاسميّة في ديوان أبي تمام – رسالة ماجستير – كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم، ١٩٩٩ م.

المحتـوى

الملخص..١١
مقدّمة..١٣
تمهيد «مفهوم العدول لغةً واصطلاحاً»..........................١٦
تعريف المصدر الصريح والمصدر المؤول ١٧
الدراسة الدلالية ٢١
أَن يَقْتُلَ - قَتْل ٢١
أَنْ تَصُومَ - صِيَام ٢٣
أَن تَجْمَعُوا - جَمْع ٢٦
أَنْ خَلَقَ - خَلْق ٢٨
وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ والأَرْضُ بأَمْرِهِ ٣٤
أَن تَأْخُذَ - أَخْذ ٣٦
أَنْ أَسْأَلَ - سُؤَال ٤٠
أَن يَسْتَغْفِرَ - اسْتِغْفَار ٤٥
أَن تَعْدِلوا - عَدْل ٤٨
أَن تَتَّخِذَ - اتِّخَاذ ٥١
أَن يَفْتِنَ - فِتْنَة - أَن تَقْصُرُواْ ٥٤
الخاتمة ٥٧
الهوامش ٦٠
المصادر والمراجع ٦٩
ملخص باللغة الإنجليزية...٧٢

الملخص

يقع هذا البحث "العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في القرآن الكريم: "دراسة دلاليّة"، ضمن الدّراسات النّحوية الدّلالية في القرآن الكريم، وقد تمّ اختيار موضوعه لأهميّته في الكشف عن النّكت الدّلاليّة في العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ، كقوله – تعالى –: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾، لقد عدل المولى – سبحانه وتعالى – عن المصدر الصّريح "استغفار" إلى المصدر المؤوّل "أن يستغفروا" ثمّ عاد بعدُ للتعبير بالمصدر الصّريح.

واقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في:

مقدّمة: تناولتُ فيها هدف البحث ومنهجه وخطّته.

وتمهيد: تضمّن مفهوم العدول لغةً واصطلاحاً، وتعريف المصدر الصّريح والمصدر المؤوّل، وأيّ النوعين أصلٌ للآخر؟ وأيّهما فرعٌ أو محوّلٌ عن الأصل؟ لتأكيد سبب اختيار العنوان.

ودراسة دلاليّة: اشتملت على النماذج التي عدل فيها السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل.

وخاتمة: تناولتُ فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، ومنها: يعدل السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح ويعبّر بالمصدر المؤوّل إذا ارتبط الحدث باحتماليّة الوقوع كقوله – تعالى –: ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ ﴾، ويعبّر السّياق القرآنيّ بالمصدر الصّريح إذا كان الحدثُ واقعاً لا محالة كقوله – تعالى –: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾.

هذا، وأدعو الله أنْ يجعل تلك التأمّلات والقراءات في ميزان حسناتي، وأنْ ينفع بها المسلمين أجمعين، آمين.

مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على النّبيّ المصطفى، وعلى آله وصحبه أعلام الهدى والتّقى...

وبعدُ،،،

فلمّا قد ظهر لي أهمّيّة العَلاقة بين النّحو والدّلالة وأنّها علاقةٌ وطيدةٌ ومتماسكة في دراساتٍ لي سابقة (اسم الفاعل بين التّنوين والإضافة في القرآن الكريم: دراسة دلاليّة)[١]، و(أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة: دراسة تطبيقيّة على القرآن الكريم)[٢] صرتُ أكثر ارتباطاً بالقرآن الكريم وتفاسيره، وأكثر شغفاً بمسألة المعنى وقضايا النّحو المختلفة، وأخذ يتبادر إلى ذهني استفسارات دلاليّة عن بعض الأساليب القرآنيّة، منها قوله – تعالى –: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[٣].

إنّ الآيتين متجاورتان (١١٣، ١١٤)، والبنى الصّرفيّة مختلفةٌ، لقد عدل المولى – سبحانه وتعالى – عن المصدر الصّريح «استغفار» إلى المصدر المؤوّل «أن يستغفروا»، ثمّ عاد بعدُ للتعبير بالمصدر الصّريح لاختلاف معطيات السّياق كما سيأتي لاحقاً.

إنّ هذا البحث يهدف لمحاولة إظهار النكت الدلاليّة في العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ، وعليه فلم تكنْ كلُّ المصادر المؤوّلة هدفي في هذا البحث؛ فقد وقع اختياري على المصدر المؤوّل الذي تحوّل من مصدرٍ صريح حيث يثير عدول القرآن عن المصدر الصريح إلى المؤوّل في آياتٍ متتابعاتٍ – الدهشة والانبهار بتلك الدّقة اللّغويّة، كما أشرتُ سالفاً، وكذلك في قوله – تعالى – في سورة الرّوم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم

بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[٤].

واقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في:

مقدّمة: تناولتُ فيها هدف البحث ومنهجه وخطّته.

وتمهيد: تضمّن مفهوم العدول لغةً واصطلاحاً، وتعريف المصدر الصّريح والمصدر المؤوّل، وأيّ النوعين أصلٌ للآخر؟ وأيّهما فرعٌ أو محوّلٌ عن الأصل؟ لتأكيد سبب اختياري للعنوان.

ودراسة دلاليّة: اشتملت على النماذج التي عدل فيها السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، تناولت فيها اثنتين وعشرين آيةً مطبّقاً عليها المنهج المشار إليه في هذه المقدّمة.

وخاتمة: تناولتُ فيها أهم النتائج التي توصّل إليها البحث.

وقد انتهجتُ في دراستي هذه بما يقتضيه المنهج العلميّ من الاعتماد على الموضوعيّة في استنباط الأحكام وعدم تبنّي أيّة نتيجة إلا بعد قيام الدليل عليها؛ لذا كان من الواجب إبراز دور معطيات السّياق في ذلك العدول، وتمثّل ذلك في تنوع الأمثلة لإثبات أنّ ما ذهبت إليه ظاهرة تستحق الدّراسة والبحث، وليس شيئاً عارضاً في النّصّ القرآنيّ.

وهو ليس بحثاً إحصائيّاً لكلِّ نماذج المصادر في القرآن الكريم؛ فلقد سبقني لذلك أستاذي الدكتور رجب حجّاج في بحثٍ عنوانه «المصدر المركّب في القرآن الكريم دراسة نحويّة دلاليّة»، قال في مقدّمته: «التزمتُ الدراسة بالمنهج الوصفيّ

التحليليّ الإحصـائيّ، وقد ركّزت على المنهج الإحصـائيّ لقناعتي بأنّ لغة القرآن لها خصوصيتها، وأنّ الأمثلة التي دارت في كتب النّحاة مكررة»[٥].

فأفـدتُ من الجانب الإحصـائيّ، وأردتُ الإشـارة إلى الجانب الـدلالي، وأن أدلَّ على شيء من مواطن الفن والجمال في هذا التعبير القرآنيّ الرائع، وأنّ هذا التعبير لا يقدر على مجاراته بشرٌ، بل ولا البشرُ كلّهم، وهي دلائل هداني الله لقراءتها وتأمّلها في سـياقها اللّغوي، قد أصـيبُ، وقد يجانبني الصّـواب، ولكنّي أذكر ما وجدتُه في نفسـي، إنّها تأملاتٌ لبعض الأسـاليب اللّغويّة في القرآن الكريم. ولقد وقع اختياري على نماذج مركّبة من الحرف المصدريّ «أنْ+ الفعل» لوروده بنسبة كبيرة في القرآن الكريم؛ حيث أشـار الدكتور حجاج إلى وروده في (٥٦٦) خمسـمائة وسـتٍّ وستين مرّة، ثمّ اخترت المصـادر الصّـريحة التي تحوّل منها مصـادر مؤوّلة، مثل «أنْ يخلق – خَلْق»، «أنْ يسـأل – سُـؤال»، «أنْ يسـتغفر – اسـتغْفار»؛ لبيان النّكت الدّلاليّة في العـدول عن المصـدر الصّـريح إلى المـؤوّل داخل السّـياق، فالبحثُ اسـتبيانٌ للفكرة ومحاولة لوضع لبنة في بناء الدراسات الدلاليّة السياقيّة في هذا الجانب البحثي.

وتطلّبت حاجة البحث دراسة بعض الآيات المرتبطة بالمادة اللغويّة، جاء ذلك عند دراسـة قوله – تعالـى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ حيث ارتبط بهذه الآية الكريمة قوله – تعالى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾؛ لبيان معطيـات السـياق اللغويّة التي أدّت إلى العـدول عن ﴿ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾، ومثل ذلك ص ٣٢ من هذا البحث.

فإنْ أصـبت فمن الله، وإنْ كانت الأخرى فمن نفسـي، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب.

تمهيد:

مفهوم العدول لغةً واصطلاحاً:

عَـدَلَ عَـدْلاً وعُـدُولاً: مـال، وعَـدَل عـن الطريـق: حـاد، وإليـه: رجـع، والعدْل: الإنصـاف، وهـو إعطـاء المـرء ما له وأخـذ ما عليه، والعـدْل: المِثْل والنظير، ونصـف الحِمْل يكونُ على أحد جَنْبَي البعير[٦].

قـال الخليـل بن أحمد: «العِدْلان: الحملان على الدّابة من جانبين، وجمعه أعدال، عُـدِل أحدهما بالآخر في الاسـتواء كي لا يرجح أحدهما بصـاحبه، والعَـدْل أن تَعْدِلَ الشيء عن وجهه فتميله، وعدلتُه عن كذا، وعدلتُ أنا عن الطريق»[٧].

قال الأزهرى: «العدْل: اسم حِمْلٍ معدول بحِمْلٍ؛ أي مُسَوّى به»[٨].

فدلالـة العـدول على الميل مسـتنبطةٌ من معادلة الأحمال؛ إذ لابـدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض.

ولقـد أشـار اللّغويّـون إلـى العـدول في مباحثهـم النّحويّـة والصّـرفيّة وعبّروا عنهـا بالعـدْل أحياناً، فالعدل والعدول مصـدران للفعل «عَدَلَ» كما ذُكر آنفاً، قال ابن السّرّاج في أصوله: «العدْل هو أن يشتقَّ من الاسم النكرة الشائع اسمٌ ويغَيَّرُ بناؤه، إمّا لإزالة معنىً إلى معنىً، وإمّا لأنْ يسمّى به، فأمّا الذي عدل لإزالة معنىً إلى معنىً فمثنـى وثلاث ورباع وأحاد، فهـذا عُدِلَ لفظه ومعناه، عُدِلَ عن معنىً اثنين إلى معنىً اثنين اثنين، وعن لفظ اثنين إلى لفظ مَثْنَى، وكذلك أحاد، عُدِل عن لفظ واحدٍ إلى لفظ أحاد، وعن معنى واحدٍ إلى معنى واحدٍ واحدٍ، وسـيبويه يذكر أنّه لم ينصـرف؛ لأنّه معدول وأنّه صفة، ولو قال قائل: إنّه لم ينصرف؛ لأنّه عُدِل في اللفظ والمعنى جميعاً، وجعـل ذلـك لكان قولاً، فأمّـا ما عُدل في حـال التّعريف فنحو: عُمـر، وزُفر عُدِل عن عامر، وزافر»[٩].

ويقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أنّ العدْل أنْ تذكر لفظاً وتريدَ غيرَه

نحو أنْ تقول: عُمر، والمقصود عامر، وهذا هو الفرعيّة؛ لأجل أنّك إذا لفظتَ بـ«عُمر»، وأنت تقصد عامراً كنت قد جعلت اللفظ دليلاً على معنىً واسمٍ وهو عامرٌ، وهذا هو عين الدلالة على شيئين، وليس للأسماء أصلٌ في الدلالة على أكثر من شيء واحد»[١٠].

ويقول ابن مالك في ألفيّته [١١]:

وَالأَصْلُ فِي الْفَاعِلِ أَنْ يَتَّصِلاَ والأَصْلُ فِي الْمَفْعُولِ أَنْ يَنْفَصِلا
وقد يُجَاءُ بِخِلاَفِ الأَصْلِ وَقَدْ يَجِي الْمَفْعُولُ قَبْلَ الْفِعْلِ

ويفهم من كلام ابن مالك: «وقد يجاء بخلاف الأصل» أنّه إذا تقدّم المفعول على الفاعل في نحو «ضرب زيداً عمروٌ»، أو تقدّم على الفعل والفاعل في نحو: زيداً ضرب عمرو، فهذا ونحوه يسمّى عُدُولاً.

وفي عصرنا الحديث ذهب علماء اللسانيّات إلى أنّ العُدُول هو «الخروج عن مستوى اللّغة المثالي إلى مستوى اللّغة الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثاليّة لخلْق صورة فنيّة متميّزة»[١٢]؛ أي الخروج عن المستوى النّمطيّ إلى المستوى الفنّيّ، فالمستوى النّمطيّ يمثّل النّظام أو الأصل اللّغويّ»[١٣].

وذهب الدكتور عبد العزيز عبدالله إلى أنّه «استخدام غير عاديّ للّغة بما يسوّغ الخروج عن الأصل المعياريّ المتواضع عليه في مستويات اللّغة الصّوتيّة والمعجميّة والدّلاليّة والتّركيبيّة والإيقاعيّة لأغراض فنيّة يقتضيها سياق الخطاب وحال المنشِئ والمتلقي»[١٤].

تعريف المصدر الصّريح والمصدر المؤوّل:

المصدر لغةً:

صَدْرُ كلّ شيء: أوّلُه، والمصدر هو أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر

الأفعال، وتفسيره: أنّ المصادر كانت أوّل الكلام، كقولك: الذّهاب والسّمْع والحِفْظ، وإنّما صدرت الأفعال عنها، فيقال: ذَهَبَ ذِهَاباً، وسَمِع سَمْعاً وسَمَاعاً، وحَفِظ حِفظاً»[١٥].

المصدر الصّريح اصطلاحاً:

الاسم الدال على مجرّد الحدث [١٦]، أو هو ما يدل على معنىً مجردٍ، وليس مبدوءاً بميم زائدة، ولا مختوماً بياء مشدّدة زائدة، بعدها تاء تأنيث مربوطة، ومن أمثلته: عِلْم – فَهْم – تَقَدُّم – استضاءة – إبانة» [١٧].

والمصدر المؤوّل: هو الذي ينسبك من الحرف المصدريّ أو الموصول الحرفيّ مع صلته، ويقال له: «المصدر المسبوك» أو «المصدر المؤوّل»[١٨].

وهنا سؤال يطرح نفسه لماذا نلجأ في الاستعمال إلى الحرف المصدريّ وصلته ثمّ نؤوّلهما بمصدر، ولا نلجأ ابتداءً إلى المصدر الصّريح؟ لمَ نقول: – مثلاً –: يحسن أنْ تأكل، ولا نقول: يحسن أكلك؟

للإجابة عن هذا السؤال ينبغي معرفة أن النحو العربي علم لم يهتم بتتبع علامات الإعراب والبناء فحسب، بل هو علم اهتم أيضاً بدلالة الجمل والكلمات داخل سياقها «وذلك أننا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه»[١٩]. والكلام عند سيبويه ينقسم من حيث المعنى على خمسة أقسام «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، وأما المستقيم القبيح فأن نضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: «قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»[٢٠].

اعتمد سيبويه في النص السابق على مراعاة الجمع بين حسن التركيب إلى حسن التوافق مع المحيط الخارجي «سياق الموقف» في مثل «حملت الجبل، وشربت ماء البحر»، فليس كل تركيب لغوي صحيح في الجانب النحوي يؤدي إلى معنى صحيح، فالموقف الخارجي يؤدي إلى قبول التركيب اللغوي أو رفضه، «فالسياق - إذاً - يرشد إلى تبين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام المطلق وتنوع الدلالة، فهو من القرائن الدالة على مراد المتكلم[٢١].

ويذكر الأستاذ عبّاس حسن أنّ الدّاعي للعدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل أمورٌ مهمةٌ تتعلّق بالمعنى أو بالضّوابط النّحويّة، فمن الأولى:

١ - الدلالة على زمان الفعل سواء أكان ماضياً: نحو الشائع أنْ حضرتَ، أم مستقبلاً: نحو: الشائع أنْ تحضر، فلو قلنا من أوّل الأمر: الشائع حضورك، لم ندر زمن الحضور أمضى أم لم يَمْضِ؟ لأنّ المصدر الصّريح لا يدل بنفسه على زمن.

٢ - الدلالة على أنّ الحكم مقصورٌ على المعنى المجرّد للفعل، من غير نظر لوصف يلابسه، أو لشيء آخر يتّصل به نحو: أعجبني أنْ أكلت؛ أي مجرد أكلك لذاته، لا لاعتبار أمر خارج عنه؛ لكثرته، أو قلته، أو بطئه، أو سرعته..... ولو قلنا: أعجبني أكلك لكان محتملاً لبعض تلك الأشياء والحالات كطريقة الأكل، أو نوع المأكول.

٣ - الدلالة على أن حصول الفعل جائزٌ لا واجب، نحو: ظهر أن يسافر إبراهيم، فالسّفر هنا جائز، ولو قلنا: ظهر سفر إبراهيم لساغ أنْ يسبق إلى بعض الأذهان أنّ هذا الأمر واجبٌ»[٢٢].

هذا ما أشار إليه الأستاذ عبّاس حسن في كتابه (النّحو الوافي) عن دواعي العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، والأمر سيكون أكثر وضوحاً من خلال استقراء نصوص القرآن الكريم، ويفهم من عبارة الأستاذ عباس حسن أنّ المصدر الصّريح أصلٌ وأنّ المصدر المؤوّل فرعٌ، وفي ذلك يقول الدكتور طه الجندي:

«الضابط الجوهري لمفهوم الأصالة والفرعيّة هو ما يكون في الأصل من معنىً أوليّ بسيط، فيأتي الفرعُ ليحمل ما في الأصل من رصيد دلالي مضيفاً إليه شيئاً آخر هو الغرض من الصّـوغ، أو لنقل هو الغرض من التحويل إليه.....، وكما هو معروف فإنّ المصدر الصّريح يدل على مجرد الحدث، والمصدر المؤوّل الذي تحوّل منه يحمل ذلك الحدث مع زيادة دلاليّة»[٢٣]، فالكلمة لها دلالتها الخاصّـة داخل السّـياق النّصّـيّ خاصّةً إذا كنّا نتحدّث عن نصٍّ ليس من كلام البشر بل هو كلام الله ربّ العالمين، فلا شك أنّ كلّ مفردة وضعت وضعاً فنيّاً مقصوداً في مكانها المناسب.

هـذا، وقـد اسـتعنت في بيان الفروق الدلاليّة للعدول عن المصـدر الصّـريح إلى المؤوّل بالسّياق لتلمُّس الفروق في الاستعمال، وكان مرجعي في ذلك كتب التفاسير المختلفة، والمراجع النّحويّة واللّغويّة القديمة والحديثة.

«واللهَ أسألُ أنْ يلهمَنا الرشدَ والصوابَ».

الدراسة الدلالية

أَنْ يَقْتُل - قَتْل

قال - تعالى -: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ **المائدة: ٢٧ - ٣٠.**

هذه قصّة من قصص القرآن الكريم تقدّم نموذجاً لطبيعة الشّرّ والعدوان، نموذجاً من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، قصّةٌ ترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشّرّ الذي يثير الضّمير، إنّها قصّة ابني آدم «قابيل وهابيل»التي وصفها القرآن بقوله: ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ ﴾، والنّبأ هو الخبر المهمّ الشديد اللافت الذي له وقعٌ وأثرٌ عظيمٌ، والقضيّة - كما جاءت في كتب التفاسير[٢٤] - أنّ الله - تعالى - تقبّل القربان من هابيل، ولم يتقبّل من قابيل، وذلك بعدما تقرّب هابيل إلى الله - تعالى - بخيرِ ماشيتِه، وتقرّب قابيل بأرْدَأ زرعِه؛ ليتزوّج أحدهما من أخت قابيل الجميلة، فوقع الحسد - وهو أوّل جريمة ظهرت على الأرض - في نفس قابيل لزواج هابيل من أخته الجميلة، ولتقبّل القربان منه، فجاش في نفسه خاطر القتل، وأقسم ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ بهذا التّأكيد المنبِئ عن الإصرار نابياً مثيراً للاستنكار؛ لأنّه ينبعث من غير موجب، اللهمّ إلا ذلك الشعور الخبيث المنكر، شعور الحسد الأعمى الخارج من نفس شريرة طوّعت وسهّلت وشجّعت له قتل أخيه. إنّ القتل واقعٌ لا محالة في نفس قابيل، واقعٌ مع سبق الإصرار والتّرصّد، لقد عزم عليه وطوّعته نفسه، ودفعه إلى ذلك حسده لأخيه، فعبّر القرآن عن تحقّق الحدث ووقوعه بالمصدر الصّريح ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾، ولم يقل:«فطوّعت له نفسه أنْ يقتل» الذي يشعر معه القارئ باحتماليّة وقوع الحدث، وأنّ الأمر ليس قطعيّاً، وبالفعل وقعت الجريمة على مسرح الأحداث ﴿فَقَتَلَهُۥ ﴾، وقد ذللت له نفسُه كلَّ عقبةٍ، وطوّعت له كلَّ مانعٍ ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾.

فـإذا مـا تعلّق الحدث بالظّـنّ والهواجس والخـوف دون يقين يقطـع ويؤكّد هذا الأمـر عدل النّصّ القرآنيّ عن المصدر الصّـريح إلى المصـدر المؤوّل، وضـح ذلك في قولـه – تعالى – في سـورة الشـعراء: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ **الشعراء: ١٠ – ١٥.**

هذا هو المشـهد الأوّل في قصّة سـيّدنا موسى، مشهد تكليف موسى، وهو يبدأ بإعلان صفة القوم بـ ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فقد ظلموا أنفسهم بالكفر والضّلال، وظلموا بني إسرائيل، فكانوا يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، ولإدراك موسى ظُلْمَ فرعون وعتـوّه وجبروتـه، وأنّ مهمّته ضـخمة وتكليفه عظيم، شـكا إلى ربّه ما به من ضـعفٍ وقصور، وأبدى هواجس نفسه وخلجاتها لا ليعتذر، ولكن ليطلب العون والمساعدة، إنّ خوفـه ليس من مجـرد التّكذيب أو القتل، إنّه الاحتياط للدّعوة كما يقول الأسـتاذ سـيّد قطـب في ظلال القـرآن[٢٥]. وليس أيضـاً تلكـؤاً في أداء الرّسـالة، بل قال ذلك اسـتدفاعاً لِمـا يتوقّعه منهم مـن القتل[٢٦] . إنّ الأمرَ مجردُ ظـنّ وتوقّع وخوف من قوم جبّارين؛ لذا ناسـب تلك الإشـارات التعبير بالمصـدر المؤوّل ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾، وأكمل السياق القرآنيّ وضوح الفرضيّة الظنيّة لدى موسى – عليه السّلام – بقوله: ﴿ كَلَّا ﴾، أي: كلا لـن يقتلـوك، فهو ردعٌ وزجرٌ عن الإقامة علـى هذا الظّن، كأنّه قال: ارتدع عن هذا الظّنّ وثقْ بالله»[٢٧].

وإذا جاورنـا بـين الآيتين ظهر التّناسـق القـرآنيّ وأنّ الجملَ القرآنيّة متناسـقة ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ ﴾، ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ﴾، القتـلُ متحقّـق في نفس القاتـل – قابيل – (مصـدر صـريح)، فظهر على مسـرح الأحداث ﴿ فَقَتَلَهُۥ ﴾، والقتـل أمرٌ ظنّيّ في نفس موسـى غير متحقّق (مصـدر مـؤوّل)، فأمره القرآن أنْ يرتدع عن هذا الظنّ ويثق بالله.

أَن تَصُومُواْ - صيام

قال - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ **البقرة:١٨٣ - ١٨٥.**

جاءت آيات الصّيام ضمن آيات توضّح جانباً من التّنظيمات الاجتماعيّة للمجتمع الإسلاميّ في بداية عهده بالمدينة، وجانباً من العبادات المفروضة كلّها مرتبطة بالوجوب وبتقوى الله - تعالى - وخشيته.

قال - تعالى -: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ

فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

ويلاحظ في الآيات السابقة أنّها خاطبت المجتمع المسلم بتنظيمات وعبادات مفروضة بدأها بـ ﴿كُتِبَ﴾ وعُقّب عليها بالإشارة إلى الأمر المرجو منها، وهو «تقوى الله، تعالى». «ومعنى كُتِبَ عليكم أنّه حقٌّ لازم للأمّة لا محيد عن الأخذ به.....، وأصلُ الكتابةِ نقشُ الحروفِ في حَجَرٍ أو رَقّ أو ثوْب، ولمّا كان ذلك النّقش يراد به التّوثق لما نقش به ودَوَام تَذَكُّرِه أطلق «كُتِب» على المعنى حَقَّ وثَبَت، أي حقَّ لأهل القتيل»[٢٨].

وقد بدأت كثيرٌ من الواجبات المفروضة في القرآن بكلمة «كُتب» لما سبقت الإشارة لمعناه، قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾[٢٩]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[٣٠]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[٣١]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ﴾[٣٢]، ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ﴾[٣٣]، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٣٤].

إذاً، فالقرآن الكريم يقرر أنّ الصّيام فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كلّ دين، وأنّ الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتّقوى، تلك الفريضة الواجبة ناسبها التعبير بالمصدر الصّريح «**الصّيام**».

ثمّ عَقّبَ القرآن لذلك الحكم الوجوبيّ بحكم الرّخصة؛ حيث أعفى من أدائه المريض حتّى يصحوَ، والمسافر حتّى يقيم ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

ولمّا كان الصيام شاقاً على المسلمين في أوّل الأمر – حيث فُرض السّنة الثانية من الهجرة – فقد جعل الله فيه رخصة لمن يستطيع الصيام بجهد، وهذه الرّخصة هي الفطر مع إطعام مسكين، وهذا معناه «أنّ الآية دلّت على أنّ فريضة الصّيام جاءت بتدرّج، فالله – سبحانه وتعالى – أراد أنْ يُخرج أمة محمّد – صلّى الله عليه وسلّم – من دائرة أنّهم لا يصومون إلى أنْ يصوموا صياماً يخيّرهم فيه؛ لأنّهم كانوا لا يصومون ثمّ جاء الأمر بعد ذلك بصيام لا خيار فيه، فالصوم قد فرض أوّلاً باختيار، وبعد أنْ اعْتَادَ المسلمون وأَلِفُوا الصوم جاء قول الحق: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾، وفي هذه الآية لم يذكر الحقّ الفدية أو غيرها، إذْ كانت فريضةُ الصوم اختياريّة، ثمّ جاء القرار الارتقائي فصار الصوم فريضة محدّدة المدّة وهي شهر رمضان، وبذلك انتهت مسألة الفدية بالنسبة لمن يطيق الصّوم، أمّا الذي لا يطيق أصلاً بأنْ يكون مريضاً أو شيخاً فقد بقيت له الرّخصة»[٣٥].

وعلى ذلك فقد ناسب حالة فرض الصّيام المصدر الصّريح ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾، وناسب حالة اختيار الصّوم مع المشقّة، أو مع السفر والمرض – المصدر المؤوّل ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾، وقد أوّله بعض المفسّرين بالمصدر الصّريح، أي: والصّيام خيرٌ لكم[٣٦]، لكنّ السّياق القرآنيّ الذي يتّسم دائماً بالدّقة التي يفسّرها قوله – تعالى –: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ (النساء:٨٢) خاطب العرب الفصحاء بالمصدر الصّريح لبيان وجوب فريضة الصيام، وبالمصدر المؤوّل لبيان اختيار الصّيام وقت تدرّج الفريضة على المسلمين، أو بقاء الرّخصة لمن يجهده الصّوم أو كان مريضاً أو مسافراً.

أنْ تجمعوا - جمع

قال - تعالى -: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ **النّساء: ٢٣.**

تتناول هذه الآيات أنواع المحرّمات من النّساء، قال ابن عبّاس: «كان أهل الجاهليّة يحرّمون ما يحرّم الإسلام إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين»[٣٧]؛ لذا عدل الأسلوب القرآنيّ عن أسلوب النهي في الآية السابقة لتلك الآيات﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾[٣٨]، عدل إلى قوله: ﴿ حُرِّمَتْ ﴾ الدالة على أنّ المحارمَ من النّساء أمرٌ مقررٌ سلفاً، ولمّا جاء للحالة الثانية «حُكْم الجمعِ بين الأختين» عدل عن المصدر الصّريح «حُرّم عليكم الجَمْعُ بين الأختين»[٣٩] إلى قوله: ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾، وهو مصدرٌ مؤوّلٌ ناسب إجازة التشريع للزوج في الاختيار بين زوجتين، إمّا الإبقاء على إحداهما وتطليق الأخرى، وإمّا الإبقاء عليهما، قال القرطبيّ - رحمه الله -: «إذا جرى الجَمْعُ في الجاهليّة كان النكاح صحيحاً، وإذا جرى في الإسلام خُيِّر بين الأختين»[٤٠].

قال الإمام الشّعراوي: «إنّ هذا الأمر - الجَمْع بين الأختين - قد سلف قبل أنْ يشرع الله، فهو - سبحانه - من غفرانه ورحمته لم يؤاخذنا بالقانون الرجعيّ، وما دام الحكم لم يأت إلا الآن فيطبّق من الآن»[٤١].

لذا ناسب هذا المعنى المصدر المؤوّل الذي يشعر معه القارئ أنّ الجَمْع بين الأختين لم يكن من المحرّمات فيما مضى، وأنّ الإبقاء على ما قد سلف اختياريّ، وأنّ الله يغفره والإسلام يحببه، ويدلّ على عدم المؤاخذة به[٤٢].

وذلك المعنى يخالف تقدير بعض المفسّرين للآية الكريمة بـ «حُرّمت هذه الأشياء والجَمْعُ بين الأختين»[٤٣]؛ حيث نشعر معه بأنّ التّحريم واقعٌ لا محالة في كلِّ الأزمنة (الماضي والحاضر والمستقبل)، ولا اختيار لمن وقع في ذلك إلا عدم الجَمْع بين الأختين، وذلك منافٍ لرحمته - تعالى - القائل: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾؛ ليناسب بهذه الآية دلالة المصدر المؤوّل، وبها تسير الدّلالة القرآنيّة في نسقٍ واحدٍ، «فالمغفرة للتّجاوز عن الاستمرار عليه، والرّحمة لبيان سبب ذلك التّجاوز»[٤٤].

أَنْ خَلَقَ - خَلْق

فإذا ما انتقل بنا السّياق القرآنيّ لمشهد فيه دلالة واضحة على ثبوت الجَمْع وتيقن وقوعِه دون وجود فرضيّة الاختيار عبّر - سبحانه وتعالى - بالمصدر الصّريح، قال - تعالى -: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾[٤٥].

جاءت الآية السّابقة ضمن آيات تتحدّث عن آثار قدرة الله فيما يحيط بالنّاس، قال - تعالى -: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾[٤٦].

جاء اللفظ القرآنيّ في هذه الآيات مختاراً بدقّة للمطر ﴿ ٱلْغَيْثَ ﴾؛ حيث جاء ليلقي ظلّ الغوث والنّجدة، وتلبية المضطر في الضّيق والكربة، كما أنّ تعبيره عن آثار الغيث ﴿ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ﴾ يلقي ظلال النّداوة والخضرة والرّجاء والفرح التي تنشأ فعلاً عن تفتّح النبات في الأرض وارتقاب الثّمار.

ثمّ تعرض الآيات الكريمات لآية كونيّة[٤٧] معروضة على الأنظار، قائمة تشهد بذاتها، وهي آيةٌ لا تحتمل جدلاً ولا ريبة، فهي قاطعةٌ في دلالتها، إنّها تشهد بأنّ الذي أنشأها ودبّرها ليس هو الإنسان ولا غيره من خلْق الله، ولا مفرّ من الاعتراف بمنشِئ مدبّر، فإنّ ضخامتها الهائلة، وتناسقها الدّقيق ونظامها الدّائب ووحدة نواميسها الثّابتة لا يمكن تفسيره إلا على أساس أنّ هناك إلهاً أنشأها ودبّرها، كما أنّه لا يمكن أنْ يعبّر عن هذا النظام الدائب والنواميس الثابتة للسماوات والأرض إلا بمصدر صريح «خَلْق»؛ ليشعرَ معها القارئ بثباتٍ واستقرارٍ واستمراريّة تلك النشأة وذلك

الخَلْق[٤٨]، وتنطوي آية السماوات والأرض على آية أخرى في ثناياها ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾، فالحياة في هذه الأرض وحدَها – ودعْ عنك ما في السماوات من حَيَواتٍ أخرى لا ندركها – آيةٌ أخرى، وهي – أي الحياة – سرٌّ لم ينفذ إلى طبيعته أحدٌ، سرٌّ غامضٌ لا يدري أحدٌ من أين جاء، ولا كيف جاء، ولا كيف يتلبّس بالأحياء! وكلّ المحاولات التي بذلت للبحث عن مصدره أغلقت دونها السّتر والأبواب، وانحصرت البحوث كلُّها في تطوّر الأحياء بعد وجود الحياة، هذه الأحياء المبثوثة في كلِّ مكان فوق سطح الأرض وفي ثناياها، وفي أعماق البحر وفي أجواز الفضاء – ودع عنك تصوّر الأحياء الأخرى في السّماء – هذه الأحياء المبثوثة التي لا يعلم الإنسانُ منها إلا النزر اليسير ولا يدرك منها بوسائله إلا القليل المشهور، هذه الأحياء التي تدبّ في السّماوات والأرض يجمعها الله حين يشاء لا يضلّ منها فردٌ واحدٌ ولا يغيب! وبنو الإنسان يعجزهم أن يجمعوا سرباً من الطّير الأليف ينفلت من أقفاصهم، أو سرباً من النّحل يطير من خليةٍ لهم! وأسرابٌ من الطير لا يعلم عددها إلا الله، وأسرابٌ من النّحل والنّمل وأخواتها لا يحصيها إلا الله، وأسرابٌ من الحشرات والهوام والجراثيم لا يعلم مواطنها إلا الله، وأسرابٌ من الأسماك وحيوان البحر لا يطّلع عليها إلا الله، وقطعان من الأنعام والوحش سائمة وشاردة في كلّ مكان... ومعها خلائق أربى عدداً وأخفى مكاناً في السّماوات من خِلْق الله.... كلها.... كلها.... يجمعها الله حين يشاء، إنّ التعبير يقابل بين مشهد البثّ ومشهد الجَمْع في لمحةٍ على طريقة القرآن، فيشهد القلب هذين المشهدين الهائلين قبل أنْ ينتهي اللسان من آية واحدة قصيرة من القرآن»[٤٩]، لذا عبّر القرآن الكريم عن تلك القدر العظيمة بمصدرٍ صريحٍ «خَلْق – جَمْع»؛ ليناسب شعورنا باليقين الكامل بقدرته تعالى على خَلْق وجَمْع تلك الخلائق.

ولننظر إلى الدّقة اللّغويّة المتّصلة بالسّياق القرآنيّ حيث عبّر عن المعنى نفسه «خَلْق» بمصدر مؤوّل في الآيتين العشرين والحادية والعشرين من سورة الروم عند الحديث عن خَلْق البشر، وفي الآية الثانية والعشرين من السّورة ذاتها عبّر بمصدرٍ

صريحٍ عند الحديث عن خَلْق السّماوات والأرض، ولقد أشرت آنفاً إلى دلالة التّعبير بالمصدر الصّريح «خَلْق» في سورة الشورى، وبقي أنْ أشير إلى العدول عنه في الآيتين العشرين والحادية والعشرين من سورة الروم، قال – تعالى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٥٠].

وفي الآية الثانية والعشرين قال – تعالى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[٥١].

وفي الآية الخامسة والعشرين قال – تعالى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾[٥٢]؛ حيث عدل في حديثه عن السماء والأرض عن المصدر الصريح «خَلْق» إلى المصدر المؤوّل «أنْ تقوم»، وهذا العدول يفسّره السّياق، ففي الآية العشرين: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ إشارةٌ للأصل البعيد للإنسان، وهو التّراب الميّت السّاكن، وفي موضعٍ آخر في القرآن قال – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٥٣]، وقال – تعالى –: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾[٥٤]، وقال – سبحانه –: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٥٥].

يتّضح من ذلك أنّ أوّل ابتداء آدم – عليه السّلام – كان تراباً متفرّقَ الأجزاء ثمّ بُلّ – أي التّراب – فصار طيناً، ثمّ ترك حتّى أنتن واسودّ فصار حمأً مسنوناً، ثمّ يبس فصار صلصالاً، وعلى هذه الأحوال والأطوار تتخرّج الآيات الواردة في خَلْق آدم – عليه السّلام –[٥٦]، يقول – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[٥٧].

هذه الآيات تشير إلى أطوار نشأة الإنسان الأولى من سلالة من تراب، أمّا نشأة الفرد الإنسانيّ بعد ذلك وتكرار أفراده وتكاثرهم فقد جرت سنة الله أنْ يكون عن طريق نقطة مائيّة تخرج من صُلْبِ الرجل، فتستقرّ في رحم امرأة، ثمّ بعد ذلك تتحوّل النّطفة إلى العلقة، ومنها إلى المضغة، ثمّ تجيء مرحلة العظام فمرحلة كسوة العظام باللّحم ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ﴾.

يتّضح ممّا سبق أنْ خلق الإنسان من ترابٍ خاصٌّ بآدم – عليه السّلام – وأنّه حدثٌ انقطع، ولم تتكرر تلك النشأة، لذلك عدل القرآن الكريم عن المصدر الصّريح «ومن آياته خَلْقُكم من تراب» إلى المصدر المؤوّل ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾، لنشعر معه أنّ المصدر المؤوّل يمدُّنا بمعنى انقطاع الحدث وعدم استمراريّة خَلْق البشر من تراب، وأنّ الأمر يتعلّق بالأصل البعيد للإنسان «آدم»، عليه السّلام، وأمّا سلالته فتأخذ طوراً آخر في النشأة.

وتنتقل بنا الآيات إلى خلق «حواء» ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥٨]. ومعنى ذلك أنّ حواء خلقها الله من آدم[٥٩]، من ضلعِه، فهي من نفسِ آدم، ولقد أشار القرآن إلى ذلك بشكل أكثر وضوحاً لا التباس فيه في بداية سورة النّساء، قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾[٦٠].

وفي سورة الأعراف قال – سبحانه –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴾[٦١].

وفي الحديث الصحيح: «إنّ المرأة خُلِقَت من ضلع، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه»[٦٢].

جاء في التّحرير والتّنوير عند تفسير آية سورة النّساء: «والنّفس الواحدة هي آدم، والزّوج: حواء، فإنّ حواء أُخرجت من آدم من ضلعِه، كما يقتضيه ظاهر قوله: «**مِنْهَا**»، و»مِنْ «تبعضيّة، ومعني التّبعيض أنّ حواء خلقت من جزءٍ من آدم»[٦٣].

يقول الإمام سيّد قطب: «قد شاء الله أنْ تبدأ هذه النبتة في الأرض بأسرة واحدة، فخلق ابتداءً نفساً واحدة، وخلق منها زوجها، فكانت أسرة من زوجين»[٦٤].

يتضّح مما سبق أن خلق حواء من ضلع آدم – عليه السّلام – حدثٌ لم يتكرر ولن يتكرر، فقد أظهر الله – سبحانه وتعالى – أنّه «قادرٌ على أنْ يخلق حيّاً من حيٍّ لا على سبيل التّوالد» كما أنّه قادرٌ «على أن يخلق حيّاً من جماد كذلك»[٦٥]، «ولو شاء الله لخلق في أوّل النشأة – رجالاً كثيراً ونساءَ، وزوّجهم، فكانوا أسراً شتى من أوّل الطّريق، لا رَحِمَ بينها من مبدأ الأمر، ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إدارة الخالق الواحد، وهي الوشيجةُ الأولى، ولكنّه – سبحانه – شاء أنْ يبدأ الوشائج من وشيجة الربوبيّة، وهي أصل وأوّل الوشائج، ثمّ يثنى بوشيجة الرَّحِم، فتقوم الأسرة الأولى من ذَكَرٍ وأنثى، ومنّها يبثّ رجالاً كثيراً ونساء، كلّهم يرجعون ابتداءً إلى وشيجة الربوبيّة، ثمّ يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة» [٦٦].

هذه المعاني عبّرعنها المولى – سبحانه وتعالى – في سورة الروم بمصدرٍ مؤوّل ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾؛ لنشعر مع المصدر المؤوّل في تعبيره عن خَلْق حواء من آدم أنّ ذلك حدثٌ منفردٌ لن يتكرر مرّة ثانية مع الخليقة، فكما خلق آدم من ترابٍ، ولم يخلق غيره من ترابٍ، كذلك خلق حواء من آدم لا على سبيل التوالد، ولم يتكرر هذا الحدث، وما أعظم السّياق القرآنيّ الذي يعدل عن المصدر

الصّريح إلى المؤوّل في آيات متجاورات، لنشعر بالتّحدي الواضح في قوله – تعالى –: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[٦٧]، ولنستعرض الآيات لإظهار ذلك العدول:

قال – تعالى –: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ والأرضُ بِأَمْرِهِ

والحديث يأخذنا لتناول الآية الخامسة والعشرين حيث عدل في حديثه عن السماء والأرض عن المصدر الصّريح ﴿خَلْقُ﴾ إلى المصدر المؤوّل ﴿أَن تَقُومَ﴾، والسّياق يوضّح لنا دلالة المصدر المؤوّل بعدما وضّح دلالة المصدر الصّريح ﴿خَلْقُ﴾[٦٨]، قال – تعالى –: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾.

«ليس المراد بإقامتها إنشاءهما؛ لأنّه قد بيّن حاله بقوله – تعالى –: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٦٩]، ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل، فإنّ ذلك من تتمات إنشائهما، وإنْ لم يصرح به تعويلاً على ما ذُكر في موضعٍ آخر من قوله – تعالى –: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٧٠]، بل قيامهما، وبقاؤهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذي أشير إليه بقوله – تعالى –: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٧١]، وحيث كانت آية قيام السّماء والأرض بأمره – تعالى – متأخّرة عن سائر الآيات المعدودة، متّصلة بالبعث في الوجود أخّرت عنهنّ، وجعلت متّصلة به في الذّكر أيضاً فقيل: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾، والكلام مسوق للأخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما، كأنّه قيل: ومن آياته قيام السّماء والأرض على هيئتهما بأمره – عزّ وجلّ – إلى أجلٍ مسمّى قدّره الله – تعالى – لقيامهما، ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل في الأرض وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأنْ قال – سبحانه –: «أيها الموتى اخرجوا فاجأتُم الخروج منها»[٧٢] لهذه المعاني – قيام السماء والأرض لأجلٍ مسمى، واتّصالها بالبعث – عدل القرآن الكريم عن المصدر الصّريح «**ومن آياته قيام**» إلى المصدر المؤوّل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ﴾؛ ليشعر القارئ بدلالة المصدر المؤوّل على عدم استمراريّة ذلك القيام، وأنّ له أجلاً حدده الله – سبحانه

وتعالى -، وعبّر بـ ﴿ثُمَّ﴾ للتّراخي وبيان طول فترة قيام السّماوات والأرض لحين موعد الحشر، و«المقصود من الجملة المعطوفة الاحتراس عمّا قد يتوهمّ من قوله: ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ من أبديّة وجود السّماوات والأرض فأفادت الجملة أنّ هذا النّظام الأرضيّ يعتوره الاختلال إذا أراد الله انقضاء العالم الأرضيّ وإحضار الخَلْق إلى الحشر تسجيلاً على المشركين بإثبات البعث، وأشار لذلك في العديد من الآيات القرآنيّة، كما ذكر آنفاً [٧٣]، وكقوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [٧٤].

وقد رتّب نظم الجملة على التّقديم والتّأخير، وأصل الجملة: «نعيد الخلق كما بدأنا أوّلَ خلقٍ يوم نطوي السّماء كطي السّجل للكتب وعداً علينا[٧٥]، فالسّماء مطويّة كما يطوي خازن الصحائف صحائفه، وقد قضي الأمر، وطوي الكون الذي كان يألفه الإنسان، وإذا عالم جديد وكون جديد»[٧٦].

أَنْ تَأْخُذَ - أَخْذ

قال - تعالى -: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ **البقرة: ٢٢٩**.

نزلت هذه الآية بياناً لعدد مرات الطّلاق الذي للمرء فيه أنْ يرتجع دون تجدد مهر ووليّ، وحقّ المطلّقة في تملّك الصَّدَاق، وحرمة استرداد شيء منه عند الطّلاق إلا في حالة واحدة، حالة المرأة الكارهة التي تخشى أنْ ترتكب معصية لو بقيت مقيّدة بهذا الزواج المكروه، وهي حالة الخلع، التي تشتري فيها المرأة حرّيّتها بفدية تدفعها، فلا يحلّ للرجل أنْ يستردّ شيئاً من صَدَاق أو نفقة أنفقها في أثناء الحياة الزوجيّة في مقابل تسريح المرأة إذا لم تصلح حياته معها، ما لم تجد أنّها كارهة لا تطيق عشرته لسبب يخصّ مشاعرها الشّخصيّة، وتحسّ أنّ كراهيتها له، أو نفورها منه سيقودها إلى الخروج عن حدود الله في حسن العشرة أو العفّة أو الأدب، فهنا يجوز لها أن تطلب الطّلاق منه، وأنْ تعوّضه عن تحطيم عشّه بلا سبب متعمّد منه بردّ الصَّدَاق الذي أمهرها إياه(٧٧).

ولقد روى البخاريّ بإسناده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنّ امرأة ثابت بن قيس بن شماس أتت النبي - صلّى الله عليه وسلّم - فقالت: يا رسول الله ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دينٍ، ولكن أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: «أتردّين عليه حديقته؟» (وكان قد أمهرها حديقة)، قالت: نعم، قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وطَلِّقْهَا تطليقة»(٧٨).

والمفهوم من سياق الآية السابقة أنّه يجوز أنْ يأخذ الزوج من زوجته ما دفعه من صَدَاق مقابل تطليقها، وأنّ قوله - تعالى -: ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ

﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾ ليس على الإطلاق إلا في حالة كراهية الزوجة زوجها، هذا المعنى عبّر عنه القرآن بالمصدر المؤوّل «أَنْ تَأْخُذُواْ» الذي نشعر معه باحتماليّة وإمكانيّة استرداد الزوج ما دفعه في حالة من الحالات، وهذا المعنى لا يعطية المصدر الصّريح كما قدّره بعض المفسّرين «أي: لا يحلُّ لكم **أَخْذُ** شيءٍ مما آتيتموهنّ[٧٩].

وأردف المصدر المؤوّل بدلالته على الاحتماليّة بقوله – تعالى –: ﴿أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ﴾ والمعنى: إلا أنْ يخافَ الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمُهما من مواجب الزوجيّة، فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت[٨٠]، وبذلك يسير التعبير القرآنيّ في نسقٍ واحدٍ مُتتابعٍ غير متناقض، وتتضح دلالة العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل بخلاف تقديره بمصدر صريح «ولا يحلُّ لكم **أَخْذُ** شيءٍ مما آتيتموهنّ إلا أنْ يخافا ألا يقيما حدود الله فإنّ خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به»؛ حيث يظهر التباين بين بداية الآية «عدم الأَخْذِ» وما تشعّه من دلالة على ثبات الحُكْم وقطعيته وبين بقية الآية بما تشتمل عليه من استثناء يبيح للزوج استراد ما أنفقه، فلا يضيع عليه بلا ذنب جناه.

فإذا ما تحدّث القرآن الكريم عن «أَخْذٍ» لا احتماليّة فيه وأنّه لا محالةَ واقعٌ بيّنٌ للناظرين عبّر بالمصدر الصّريح، قال – تعالى –: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٨١].

جاءت الآية في خاتمة سورة هود، قال – تعالى –: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٨٢].

تضمّنت آيات سورة هود السّابقة لهذه الآيات قصصاً مفصّلاً بعض الشيء[٨٣]، وتبع القصص في هذه السّورة خطّ سير التّاريخ؛ فبدأ بنوح، ثمّ هود، ثمّ صالح، ولمَّ بطرفٍ من قصّة إبراهيم في الطريق إلى لوط، ثمّ شعيب ثمّ إشارة إلى موسى؛ ليذكّر التالين بمصير السالفين على التوالي بهذا الترتيب السّابق، ففي نهاية قصّة نوح ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٨٤].

وفي نهاية قصّة قوم عاد ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨ وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ٥٩ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ﴾[٨٥].

إلى آخر القصص في سورة هود؛ حيث مصارع القوم معروضة، ومشاهدهم تزحم النفس والخيال، منهم الغارقون في لُجّة الطّوفان الغامر، ومنهم المأخوذون بالعاصفة المدمّرة، ومنهم من أخذته الصّيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، وما حلّ بهم من قبلُ في الدّنيا يخايل للأنظار في هذا الموضع، وقد بلغ السّياق من القلوب والمشاعر أعماقها بتلك المصارع والمشاهد، هنا يأتي هذا التعقيب ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ١٠١ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾[٨٦].

كذلك الذي قصصناه عليك، وبمثل هذا الدّمار والنّكال يأْخُذُ ربُّك القرى حين يأخذُها وهي ظالمةٌ ﴿إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴾، يالعظمة التعبير القرآنيّ في تعبيره عن

هلاك الظالمين السّابقين بالمصدر الصّريح «**أَخْذ**»؛ لنشعر معه أنّ أَخْذَ الظالمين واقعٌ لا محالةَ، لا احتماليّةَ فيه، ولا يرجى الخلاص منه، ولا مكان للرجوع عن قرار أَخْذِ الظالمين، وهذا مبالغةٌ في التّهديد والتّحذير. عن أبي موسى الأشعري قال: «قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –: إنّ الله – سبحانه – ليُمْلي للظّالم حتّى إذا أخذَه لم يُفْلته» ثمّ قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٨٧]، إنّه لفظٌ مختارٌ بدقّة يعطي معاني بقاء الوعيد واستمراره في الزمان كلّما ساد الظّلم في الأمم وسيطر الظّالمون، إنّها تلاقي مصيرها الذي يقدّره الله لها، وفْق سنتِه التي لا تختلف على مدار الزمان، فهو مثلٌ حيٌّ لكلّ ظالمٍ «وتختلف قوّة الأَخْذِ بقوّة الآخذ، فإذا كان الآخذ هو الله – سبحانه – فهو أَخْذُ عزيز مقتدر»[٨٨].

وهذا ما شاهدنا بأبصارنا في عصرنا الحديث حيث ساد الظّلم وسيطر الظّالمون، فأخذ الله الظّالمين بظلمهم. وليس ذلك فحسب، بل جعل القرآن الكريم الأَخْذَ الأليم الشديد في الدنيا علامة على عذاب الآخرة، ويعْبُر السّياق القرآنيّ بالقلب البشري من مشاهد الأرض إلى مشاهد القيامة بطريقة القرآن في وصل الرحلتين بلا فاصل في السّياق ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ **هود:١٠٣ – ١٠٥**.

أنْ أسأل – سؤال

قال – تعالى –: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٨٩].

يقتضي السّياق[٩٠] أنّ نداء نوحٍ – عليه السّلام – ربَّه كان بعد استواء السّفينة على الجودي نداءً دعاه إليه داعي الشّفقة، فأراد به نفع ابنه في الآخرة بعد اليأس من نجاته في الدنيا؛ لأنّ الله أعلمه أنّه لا نجاة إلا للذين يركبون السّفينة. والنّداءُ هنا نداءُ دعاء فكأنّه قيل: ودعا نوحٌ ربَّه؛ لأنّ الدعاء يصدر بالنداء غالباً، وجملةُ «فقال ربّ إنّ ابني من أهلي» بيانٌ للنّداء، ومقتضى الظّاهر أن لا تعطف بفاء التفريع كما لم يعطف البيان في قوله – تعالى –: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[٩١]، وخُولف ذلك هنا، ووجّه في الكشّاف[٩٢] اقترانه بالفاء بأنّ فعل «نادى» مستعملٌ في إرادة النّداء، أي مثل فعل (قمتم) في قوله – تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾[٩٣]، يريد أنّ ذلك إخراجٌ[٩٤] للكلام على خلاف مقتضى الظّاهر، فإنّ وجود الفاء في الجملة التي هي بيانٌ للنداء قرينة على أن فعل «نادى» مستعار لمعنى إرادة النّداء؛ أي: أراد نداء ربّه فأعقب إرادته بإصدار النّداء، وهذا إشارة إلى أنّه أراد النّداء فتردّد في الإقدام عليه بما علم من قوله – تعالى –: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ

﴿ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ فلم يطل تردّده لما غلبته الشّفقة على ابنه فأقدم على نداء ربّه، ولذلك قدم الاعتذار بقوله: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾، فقوله: ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾ خبرٌ مستعملٌ في الاعتذار والتّمهيد؛ لأنّه يريد أنْ يسأل سؤالاً لا يرى قبوله، وكذلك جملة ﴿ وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ ﴾ خبرٌ مستعملٌ في لازم الفائدة، وهو أنّه يعلم أنّ وعد الله حقٌّ، والمراد بالوعد ما في قوله – تعالى –: ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ **المؤمنون:٢٧**؛ إذ أفاد ذلك أنّ بعض أهله قد سبق من الله تقديرٌ بأنّه لا يركب السّفينة، وهذا الموصول «مَنْ» متعيّن لكونه صادقاً على ابنه؛ إذْ ليس غيره من أهله طُلب منه ركوب السّفينة وأبى، ومعنى هذا أنّ نوحاً – عليه السّلام – لا يجهل أنّ ابنَه كافرٌ، ولكنّه يطمع لعلّ الله أنْ يعفو عنه لأجل قرابته به – وقرينة ذلك كلّه قوله: ﴿ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ المفيد أنّه لا راد لما حكم به وقضاه. والاقتصار على هذه الجمل الثلاث[٩٥] في مقام الدعاء تعريض بالمطلوب؛ لأنّه لم يذكره، وذلك ضرب من ضروب التّأدب والتّردّد في الإقدام على المسؤول استغناءً بعلم المسؤول كأنّه يقول: أسألُك أم أتركُ، كقول أميّة بن أبي الصّلت:

أَأَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إنَّ شيمَتَكَ الحَياءُ [٩٦]

وقد كان نوحٌ – عليه السلام – غير منهيّ عن ذلك، ولم يكن تقرر في شرعه العلم بعدم المغفرة للكافرين، فكان حال نوح – عليه السلام – كحال النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قال لأبي طالب: «لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك» قبل أنْ ينزل قول تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[٩٧].

وتفرّع على ذلك نهيه أنْ يسأل ما ليس له به علم نَهيَ عتابٍ؛ لأنّه لمّا قيل له: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ ﴾ بسبب تعليله بأنّه عملٌ غيرُ صالح سقط ما مهّد به لإجابة سؤاله، فكان حقيقاً بأنْ لا يسأله وأنْ يتدبّر ما أراد أنْ يسأله من الله.

إذاً سؤالُ نوحٍ ربَّه بالمغفرة لابنه لم يظهر على مسرح الأحداث وإنْ مهّد له نوحٌ

بالجمل الثلاث لاختبار حال إقبال الله على سؤاله، فكان قوله – تعالى –: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ﴾ نهياً عن الإفضاء بالسؤال الذي مهّد له بكلامه، والمقصود من النّهي تنزيهه عن تعريض سؤاله للرد[٩٨]؛ لذا عبّر القرآن الكريم عن منع سؤال نوح من الظهور خارج قلبه إلى مسرح الأحداث وكتمانه مسلّماً بما أمر الله بالمصدر المؤوّل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾؛ ليضيف السّياق القرآنيّ دلالة جديدة إلى دلالات المصدر المؤوّل وهي عدم حدوث الفعل المُكوّن للمصدر المؤوّل، وأنّ استعاذة نوح معناه الانكفاف عن الإفضاء بالسّؤال[٩٩]، فقوله – تعالى –: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ﴾ معناه أنّ «الحقّ سبحانه يطلب من نوحٍ هنا أنْ يفكّر جيّداً قبل أنْ يسأل، فلا غبار على الأنبياء حين يربيهم ربُّهم، والحقُّ – سبحانه وتعالى – وحدَه هو القادر على أنْ يمنع من قلب نوحٍ مثل هذا السّؤال، وهذه قمة التّسليم لله – تعالى – »[١٠٠].

ولنتناول آية أخرى نقارن فيها بين دلالة المصدر المؤوّل «**أنْ أسأل**»الذي سبق أنْ تعرضنا له آنفاً وبين دلالة المصدر الصّريح «**سؤال**» ليظهر دور السّياق في العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل، قال – تعالى –: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ **ص: ٢١ – ٢٤**.

وبيان هذه الفتنة[١٠١] أنّ داود النّبي الملك كان يخصّص بعضَ وقتِه للتّصرّف في شؤون المُلْك وللقضاء بين الناس، ويخصّص البعضَ الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب، وكان إذا دخل المِحْرَاب للعبادة والخَلْوَةِ لم يدخل إليه أحدٌ حتّى يخرجَ هو إلى النّاس، وفي ذات يوم فُوجِئ بشخصين يتسوّران المِحْرَاب المغلق عليه، ففزع منهما، فما يتسوّر المِحْرَاب هكذا مؤمنٌ ولا أمين، فبادرا

يُطَمْئِنَانه ﴿ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾، وبدأ أحدهما فعرض خصومته ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾؛ أي: اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي، ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾؛ أي: شدّد عليّ في القول وأغلظ.

والقضيّة – كما عرضها أحد الخصمين – تحملُ ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ومن ثمّ اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصّارخة، ولم يوجّه إلى الخصم الآخر حديثاً، ولم يطلب إليه بياناً، ولم يسمع له حجة، ولكنّه مضى يحكم: «قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء (أي الأقوياء المخالطين بعضهم لبعضٍ) ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم».

لقد ذكر القرآن الكريم قول أحد الخصمين ﴿ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾؛ أي: اجعلها لي، وفي ملكي وكفالتي، وشدّد عليّ في القول وأغلظ؛ لذا عبّر بما يقضيه سياق الآيات؛ حيث أشار للقول هذا بالمصدر الصّريح ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾، إنّ السؤال طُرِحَ على مسرح الأحداث، أمام محكمة داود، وكان فيه غلظة وشدّة، فما كان من داود إلا أنْ عبّر بالمصدر الصّريح ليشعر معه القارئ أنّ أحد الخصمين قد سأل خصمه أنْ يعطيه نعجته، ولمّا رأى منه تمنّعاً اشتدّ عليه بالكلام وهدده. وبتجاور الآيتين يظهر الفارق الدلاليّ الذي أشرنا إليه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ﴾.

﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾.

إنّ نوحاً مهّد لما فيه قلبه من رغبة في السّؤال بجملٍ ثلاث، فمنعه الله أنْ يظهر ما في قلبه على لسانه فعبّر بالمصدر المؤوّل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾، وإنّ أحد الخصمين شدّد في السّؤال وهدّد وغلب صاحبه فعبّر بالمصدر الصّريح ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ﴾.

أنْ يَسْتَغْفِرَ - اسْتِغْفَار

قال - تعالى -: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ **التوبة:١١٣**.

هذه الآية من سورة التّوبة نُسِخ بها التخيير الواقع في قوله - تعالى -: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١٠٢].

وجاءت هذه الآية عقب عرض نماذج من المنافقين وأحوالهم وأقوالهم ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ..... ﴾[١٠٣].

قال رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم -: «إنّما خيّرني الله - تعالى -: فقال ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ وسأزيد على سبعين.»[١٠٤].

والذي يظهر أنّ رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - لمّا أوحي إليه بآية سورة «المنافقون» ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾[١٠٥] بعثَتْه رحمتُه بالنّاسِ إلى أنْ يستغفرَ للمنافقين استغفاراً مكرراً عسى أنْ

يَغْفِرَ الله لهم، ويزول عنهم غضبُه – تعالى – فيهديهم إلى الإيمان الحقّ، بما أنّ مخالطتهم لأحوال الإيمان – ولو في ظاهر الحال – قد يجرّ إلى تعلّق هديه بقلوبهم بأقلّ سببٍ. وكان النبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يصلّي صلاة الجنازة على من مات من المنافقين؛ لأنّ صلاة الجنازة من الاستغفار، ولمّا مات عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد نزول آية سورة التوبة (٨٠) سأل ابنه عبد الله بن عبد الله النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – أنْ يصلّي عليه، فصلى عليه كرامة لابنه، قال عمر للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –: «قد نهاك ربّك أنْ تصلّي عليه، قال له على سبيل الردّ: «إنّما خيّرني الله؛ أي ليس في هذه الآية نهي عن الاستغفار، فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة، ولعل النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)، وكذلك في لفظة عدد سبعين مرّة استقصاءً لمظنّة الرّحمة[١٠٦]، ثمّ أراد الله نسخ ذلك على سبيل التّدرّج على عادة التشريع في غالب الأحوال، ولعل الغرض الذي لأجله أبقى التخيير في الاستغفار لهم قد ضعف ما فيه من المصلحة، فنهى الله النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – والمؤمنين معاً عن الاستغفار للمشركين بعد أنّ رخّص للنبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خاصّة في قوله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [١٠٧].

وتعددت سبل التّعبير عن النّهي في قوله – تعالى –: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾؛ حيث جاءت صيغة النّهي بطريق نفي الكون مع لام الجحود مبالغة في التّنزّه عن هذا الاستغفار، ثمّ عبّر بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ﴾ ليعطي دلالة انتفاء الحدث من قلوب النّبي والمؤمنين، وأنّ ما كان مرخّصاً صار منهيّاً عنه، وزاد ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ﴾ للمبالغة في استقصاء أقرب الأحوال إلى المقدرة، ثمّ عقّب بمصدرٍ صريحٍ «استغفار» يماثل لغويّاً المصدر المؤوّل السابق «أنْ يستغفر»، ولكنّه لا يماثله في الدّلالة، فكما تناغم المصدر المؤوّل ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ﴾ داخل سياق الآية لإظهار المبالغة في النّهي

عن الاستغفار، جاء المصدر الصّريح ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ **التوبة: ١١٤**؛ ليشيرَ إلى أنّ إبراهيم قد استغفر لأبيه بالفعل، وأنّ الاستغفار قد وقع، وذكر ذلك في القرآن الكريم: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[١٠٨] ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[١٠٩].

إنّ استغفارَ إبراهيم لأبيه كان بسبب وعده له أنْ يستغفر له الله لعلّه يهديه، كما هو واضحٌ في آيات القرآن ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[١١٠]، إنّ هذا الوعد وما ترتّب عليه من دعاء إبراهيم لأبيه بالمغفرة ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ ﴾ أشار إليه القرآن وعبّر عنه بالمصدر الصّريح الذي يعطينا دلالة قاطعة على وقوع الحدث وأنّه لا احتماليّة لنفيه، ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾، وهنا يُظْهر السّياق دلالة العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل في آيتين متتاليتين من سورة التّوبة.

أنْ تعدلوا - العدل

قال - تعالى -: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ **النحل:٨٩ - ٩٠.**

لمّا جاء أنّ هذا القرآن تبيانٌ لكلِّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، حَسُنَ التّخلّص إلى تبيان أصول الهدى في التشريع للدين الإسلاميّ العائدة إلى الأمر والنهي، إذْ الشريعة كلّها أمرٌ ونهيٌ، والتّقوى منحصرةٌ في الامتثال والاجتناب، فهذه الآية جامعةٌ أصولَ التشريع[١١١]؛ لأنّ هذا الكتاب جاء لينشِئ أمّة وينظّم مجتمعاً، جاء دعوة عالميّة إنسانيّة لا تعصّب فيها لقبيلة، أو أمّة، أو جنس، إنّما العقيدة وحدَها هي الأصرة، والرابطة، والقوميّة والعصبيّة، ومن ثمّ جاء بالمبادئ التي تكْفُلُ تماسك الجماعة والجماعات، جاء «بِٱلْعَدْلِ» الذي يكْفُلُ لكلّ فردٍ، ولكلّ جماعةٍ ولكلّ قومٍ قاعدة ثابتة للتّعامل لا تميل مع الهوى، ولا تتأثّر بالودّ والبغض، ولا تتبدّل مجاراةً للصّهر والنّسب والغنى والفقر، والقوّة والضّعف، إنّما تمضي في طريقها تكيل بمكيالٍ واحدٍ للجميع، وتزن بميزانٍ واحدٍ للجميع[١١٢]. إنّ الآية الجامعة لأصول التشريع ومبادِئ تماسك الجماعة ومعاملتهم بقواعد ثابتة يناسبها التعبير بالمصدر الصّريح «**العَدْل**» المتناغم مع معطيات السّياق القرآنيّ، حيث افتتاح الجملة بحرفِ التوكيد للاهتمام بشأن ما حوته، وتصديرها باسم الجلالة للتشريف، وذكر «**يَأْمُرُ**» و «**يَنْهَى**» للتشويق، وعبّر بالمصدر الصّريح «**العَدْل - الإحسان - إيتاء**»؛ ليناسب حالة إقرار قواعد التّشريع الثّابتة الجامعة، قال ابن مسعود لمّا نزلت هذه الآية: «أجمعُ آيات القرآن للخير هذه الآية[١١٣]؛ لأنّها جمعت كلّ الفضائل التي يمكن أنْ تكون في القرآن الكريم.

فإذا ما جاء القرآن للحديث عن معاملة الزوج لزوجاته، وهو أعلم بمن خلق ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١١٤]، فإنّنا نجد أنفسنا أمام منهجٍ فريدٍ يواجه واقعَ النّفسِ

البشـريّةِ وملابسات الحياة البشـريّة، بالواقعيّة المثاليّة، أوالمثالية الواقعيّة، ويعترف بمـا هو كامـن في تركيبهـا مـن ازدواج عجيب فريـد: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾[١١٥].

لقد عدل القرآن عن التّعبير بالمصـدر الصّـريح إلى المصـدر المؤوّل؛ لنشعر معه أنّ هنـاك عـدلاً لن يتحقّق وهو العدل الحُبّـيّ أو القلبيّ، وعدلاً يتحقّق وهو الماديّ، إنّ انتفاء العَدْل لن يكون كلّيّة بين الزوج وزوجاته؛ لذا لم يقل: «لن تستطيعوا العَدْل بين النّسـاء»، فالله الذي فطر النفس البشـريّة يعلم من فطرتها أنّها ذات ميولٍ لا تملكها، ومن هذه الميول أنْ يميل القلب البشريّ إلى إحدى الزوجات ويؤثرها على الأخريات فيكـون ميلُـه إليها أكثر من الأخرى أو الأخريات، وهـذا ميلٌ لا حيلة له فيه، ولا يملك محوه أو قتله..... فماذا؟ إنّ الإسلام لا يحاسبه على أمرٍ لا يملكه، ولا يجعل هذا إثماً يعاقبه عليه، فيدعه موزّعاً بين ميلٍ لا يملكه وأمرٍ لا يطيقه، بل إنّه يصارح النّاس بأنّهم لن يستطيعوا أنْ يعدلوا بين النّساء – ولو حرصوا – ؛ لأنّ الأمر خارج عن إرادتهم، **ولكـن هنالك مـا هو داخل في إرادتهم، هنـاك العدل في المعاملة، العدل في القسـمة، العدل في النّفقة، العدل في الحقوق الزوجيّة كلّها، حتّى الابتسامة في الوجه، والكلمة الطيبـة باللسـان، هذا ما هم مطالبون بـه**[١١٦]. إن دقة التعبير القـرآني لَتُبْهِرُ العقول وتأخذ بنواصـي القلوب حين يعبّر عما هو ثابتٌ ومقررٌ من أصـول التشريع بالمصدر الصّـريح «العَدْل»، ويعدل عنه في أمر به تعدديّة واحتماليّة التّحقّق في معاملة الزوج لزوجاته، فنفْيُ الاستطاعة بين النّساء ليس على إطلاقه، ولكنّه في ميل الطّبع بالمحبّة، أمّا المنهيّ عنه فهو الميل في المعاملة الظّاهرة، وكان رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وهو يقسّـم بين نسـائِه فيما يملك ويعدل في هذه القسـمة لا ينكرُ أنّه يؤْثر بعضـهن على بعض، وأنّ هذا خارجٌ عمّا يملك، فكان يقول: – صـلّى الله عليه وسـلّم –: «اللهمّ هذا قَسْـمي فيما أملك فلا تَلُمني فيما تملِكُ ولا أملِكُ»[١١٧]. وكان ذلك؛ لأنّ أمر النّسـاء يغالب النّفس، حيث جعل الله – سـبحانه وتعالى – حُسْـنَ المرأة وخُلقها مؤثّراً أشـدّ

التأثير، فرُبّ امرأةٍ لبيبةٍ خفيفةِ الروح، وأخرى ثقيلة حمقاء فتفاوتهنّ في ذلك وخلوّ بعضهنّ منه يؤثّر – لا محالةَ – تفاوتاً في محبّة الزوج بعض أزواجه» [١١٨].

أَن تَتَّخِذَ - اتِّخَاذ

قال - تعالى -: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ **الكهف ٨٣ - ٨٨**.

بدأت الآيات الكريمات بالحديث عن ذي القرنين بشيء عنه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾، لقد مكّن الله له في الأرض فأعطاه سلطاناً وطيدَ الدعائم، ويسّر له أسباب الحُكْمِ والفَتْحِ، فمضى في وجهٍ مما هو ميسّر له، وسلك طريقه إلى الغرب فرأى الشمس ﴿تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ و «الحمأ» هو مكان تكثر فيه الأعشاب ويتجمّع حولها طينٌ لزجٌ، عندها وجد ذو القرنين قوماً: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾، وقد دلّ هذا القول على أنّهم مستحقّون للعذاب، فدلّ على أنّ أحوالهم كانت في فسادٍ من كفرٍ وفسادِ عملٍ [١١٩]، فخيّره الله - تعالى - بين أنْ يعذّبهم وأنْ يدعوهم إلى الإيمان، ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ بالقتل من أوّل الأمر ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾، وذلك بالدعوة إلى الحقّ والإرشاد، حالة التخيير هذه ناسبها العدول عن المصدر الصّريح إلى المؤوّل فلم يقل: «إمّا التّعذيبُ وإمّا اتّخاذُ الحُسْنَى فيهم» كما أوّله بعض المفسّرين والمعربين[١٢٠]؛ لأنّ الله ألقى في نفس ذي القرنين تردداً بين أنْ يبادر استئصالهم، وأنْ يمهلهم ويدعوهم إلى الإيمان وحُسْن العمل، ويكون قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ جواباً منه إلى ربّه؛ أي: قال في نفسه معتمداً على حالةٍ وسط بين صورتي التّردد. واجتلاب حرف الاستقبال في قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ﴾ يشير إلى أنّه سيدعوه إلى الإيمان فإنْ أصرّ على كفره يعذّبه، وقد صرّح بهذا المفهوم في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾؛ أي من بعد كفره[١٢١].

وفي حديث القرآن عن قصّة اتّخاذ بني إسرائيل للعجل وعبادته في غيبة موسى – عليه السلام – عندما ذهب إلى ميعاد ربّه على الجبل، عبّر بالمصدر الصّريح عما فعله بنو إسرائيل ليشير إلى ثبات ووقوع فعلهم وبشاعته، قال – تعالى –: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ **البقرة: ٥٠ – ٥٤.**

إنّ الله – سبحانه وتعالى – أراد أنْ يُمَحِّص بني إسرائيل ويبيّن لنا كفرهم بنعم الله، فالله نجّاهم من آل فرعون، ولم يكادوا يعبرون البحر حتّى رأوا قوماً يعبدون الأوثان فطلبوا من موسى – عليه السّلام – أنْ يتّخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد ﴿ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾[١٢٢]. إنّه خللٌ في عقيدة بني إسرائيل، ومن أجلِه كان لابدّ من منهجٍ ربانيٍّ يسيرون عليه، فتمّ إعداد موسى لنفسه في أربعين ليلة لحمل الرسالة الموعودة. وقصّة اتّخاذ بني إسرائيل العجلَ وعبادته في غيبة موسى – عليه السلام – مفصّلة في سورة طه السابقة النزول في مكّة. قال – تعالى –: ﴿ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَـٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [١٢٣].

إنّ الله سبحانه يذكّر بقصّة اتّخاذ العجل في سورة البقرة، وأنّه لم يكن بدٌّ من التّطهير القاسي تبياناً للعفو المذكور[١٢٤] ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم ﴾، حيث قال موسى – عليه السلام – ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾؛ لذا كان التعبير بالمصدر الصّريح «اتّخاذ» مناسباً للسّياق القرآنيّ الذي أشار للقصّة في أكثر من موضع وفصّلها في سورة طه كما ذُكر آنفاً، فهو أمرٌ مقررٌ ثابتٌ مقطوعٌ بحدوثه، وكما عبّر عنه في الآية الثالثة والتسعين من سورة البقرة: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[١٢٥]، ولنقف لحظة أمام التعبيرين المصوّرين العجيبين: ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾، ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾، إنّهم قالوا سمعنا، ولم يقولوا عصينا، إنّه تصوير حيٌّ للواقع الصّامت كأنّه واقعٌ ناطقٌ، لقد قالوا بأفواههم سمعنا، وقالوا بأعمالهم عصينا، وأمّا الصّورة الغليظة التي ترسمها ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾فهي صورةٌ فريدةٌ تشير إلى حبّهم الشديد لعبادة العجل حتّى لكأنّهم أشربوه إشراباً في القلوب[١٢٦]. إنّ السّياق القرآنيّ متكاملٌ ومتناغمٌ، وما كان ليعبّر عن حبّهم الشّديد هذا للعجل إلا بمصدرٍ صريحٍ – **اتّخاذ** – يناسب هذا التعبير القرآنيّ المصوّر.

أَن يَفْتِنَ - فِتْنَة - أَن تَقْصُرُواْ

قال - تعالى -: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[١٢٧].

تتحدّث الآية الكريمة[١٢٨] عن رخصةٍ يبيحها الله للمهاجرين، أو الضّاربين في الأرض للجهاد، أو للتّجارة، أو الحجّ والعمرة، وما ضارعها من صلةِ رحمٍ وإحياءِ نفسٍ في حالة خوفهم، وهي قَصْرُ الصّلاة، فما أحوج الخائف في الطريق إلى أنْ يطمئن قلبه بذكر الله، وما أحوج المهاجر من أرضه إلى أن يلتجِئ إلى حمى الله، غير أنّ الصّلاة الكاملة وما فيها من قيامٍ وركوعٍ وسجودٍ قد تلفت إليه أنظار عدوه فيعرفوه، أو قد تمكّن لهم منه وهو راكعٌ أو ساجدٌ فيأخذوه، ومن ثمّ هذه الرّخصة للضّارب في الأرض أنْ يقصر من الصلاة عند مخافة الفتنة.

وبدأ المولى - سبحانه وتعالى - الآية بـ ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ ﴾ بما توحي به «إذا» من أنّه لا غنى للمسلمين عن الضّرْب في الأرض لأسباب عدّة، فـ «إذا» تدخل على الذي تيقّن وقوعه أو رجح، وتعطي مع جملتها دلالة الاستمرار[١٢٩]، وجاء قوله - تعالى -: ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ ﴾ ليعبرّ[١٣٠] عن التخيير بين القصر والإتمام، وروي عن النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أنّه أتمّ في السّفر، وعن عائشة - رضي الله عنها -: «اعْتَمَرْتُ مع رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - من المدينة إلى مكّة، حتّى إذا قدمت مكّة قلتُ: يارسول الله بأبي أنت وأمي قصرتُ وأتممتُ، وصمتُ وأفطرتُ، فقال: «أحسنتِ ياعائشة، وما عاب عليّ»؛ لذا عبّر القرآن بـ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾، ثمّ أعقب ذلك بمصدرٍ مؤوّل ﴿ أَن تَقْصُرُواْ ﴾؛ لنشعر معه بعدم وجوب القَصْر، وعدل في الآية عن المصدر الصّريح «فليس عليكم جناح في قَصْر الصّلاة» كما قدّره بعض المفسرين[١٣١]، ثمّ استخدم أداة الشرط «إن» في قوله: ﴿ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ فهي لا تستعمل إلا في المعاني المحتمَلة[١٣٢]، فالخوف من فتنةِ الذين كفروا ليس

مقطوعاً به في كلّ سفرٍ، فكان التعبير بـ «إنْ» لعدم القطع في الأشياء الجائز وقوعها وعدم وقوعها[١٣٣]، ثمّ التّعبير بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ﴾، والعدول عن المصدر الصّريح «فِتْنَة»؛ ليسير النّسق القرآنيّ في لون دلاليٍّ واحد يبدأ بـ «إنْ» الشرطيّة، ويستكمله بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ﴾، قال يَعْلَى بنُ أميّة: قلت لعمر: مالنا نَقْصُر وقد أمِنّا، فقال عمر: عجبتُ مما عجبتَ منه، فسألتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – عن ذلك فقال: «صدقةٌ تصدّق الله بها عليكم، فاقْبَلُوا صدقتَه»[١٣٤]. فالأمن والخوف أمران محتمَلان لا نستطيع القطع بأحدهما، والخوف من الفتنة يزول في حالات الأمن والاستقرار ؛ لذا لم يعبّر القرآن الكريم عن هذه المعاني بـ«إذا خفتم فِتْنَةَ الذين كفروا» وعدل عنها بقوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

فإذا ما تحدّث المولى – عزّ وجلّ – عن أمرٍ متيقنِ الوقوع، وقد قطع علّام الغيوب – سبحانه – بهذا الأمر عدل عن المصدر المؤوّل «أنْ يَفْتِنَ» إلى المصدر الصّريح فِتْنَة، قال – تعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ **المائدة: ٤١**.

تتحدّث كتب التّفاسير[١٣٥] عن سبب نزول هذه الآية، وأنّها نزلت في السّنوات الأولى للهجرة حيث كان اليهود ما يزالون بالمدينة، وأنّهم – اليهود – اختلفوا في حدّ الزّاني (حين زنى فيهم رجلٌ بامرأةٍ من أهل خيبر أو أهل فَدَك، بين أنْ يُرْجَمَ وبين أنْ يُجْلَدَ ويحمّم (يلطّخ وجهه بالسواد) اختلافاً ألجأهم إلى أنْ أرسلوا إلى يهود المدينة أنْ يحكّموا رسول الله في شأن ذلك، وقالوا: إنْ حكم بالتحميم قبلنا

حُكْمَه، وإنْ حكم بالرّجم فلا تقبلوه، وأنّ رسول الله قال لأحبارهم بالمدينة: «ما تجدون في التّوراة على من زنى إذا أحصن، قالوا: يحمّم ويجلد ويطاف به، فكذّبهم النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وأعلمهم بأنّ حُكْمَ التوراة هو الرّجم على من أحصن، فأنكروا، ومن هنا حكاية قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾، وهكذا بلغَ بهم العبث، وبلغ بهم الاستهتار، وبلغ منهم الالتواء أيضاً في التّعامل مع الله والتّعامل مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – هذا المبلغ، وذلك بأنّهم يسارعون في الكفر، ويظهرون آثاره عند أدنى مناسبة وفي كلّ فرصة، هؤلاء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، والله – سبحانه وتعالى – يقول لرسوله في شأن هؤلاء المسارعين بالكفر، وفي شأن هؤلاء المتآمرين المبيّتين لهذه الألاعيب: ﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾، فهم يسلكون سبيل الفِتْنَةِ وهم واقعون فيها، وليس لك من الأمر شيء، وما أنت بمستطيع أنْ تدفعَ عنهم الفِتْنَةَ، وقد سلكوا طريقها ولجّوا، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، هذا المعاني التي تشي بأنّ علّام الغيوب قد قطع بأمر الفِتْنَةِ لهؤلاء المنافقين يناسبها التعبير بالمصدر الصّريح ﴿فِتْنَتَهُۥ﴾، «فإرادة الله فِتْنَة المفتون قضاؤها في الأزل»[١٣٦]، وعلامة ذلك التقدير عدم إجداء الموعظة والإرشاد فيه ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، يقول الطّبري في تفسيره: «لا يحزنك تسرُّعهم إلى جحود نبوّتك، فإنّي قد ختمت عليهم أنّهم لا يتوبون من ضلالتهم، ولا يرجعون عن كفرهم للسّابق من غضبي عليهم»[١٣٧].

والفِتْنَةُ لفظٌ محتمل لجميع أنواع المفاسد، إلا أنّه لمّا كان هذا اللفظ مذكوراً عقيب أنواع كفرهم التي شرحها الله – تعالى – وجب أن يكون المراد من هذه الفِتْنَةِ تلك الكفريات التي تقدّم ذكرها، وعلى هذا التقدير فالمراد: «ومن يرد الله كفرَه وضلالته فلن يقدرَ أحدٌ على دفعِ ذلك عنه»[١٣٨].

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ.

وبعدُ؛

فإنّ لكلّ بحثٍ نتائجَ يهدف إليها، وبحثي هذا «**العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في القرآن الكريم: دراسة دلاليّة**» سعيتُ فيه إلى الكشف عن النّكت الدلاليّة لعدول القرآن الكريم عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في صيغٍ من جذرٍ واحدٍ من خلال السّياق القرآنيّ، واستقراء نصوصه، معتمداً في ذلك على كتب التّفاسير المختلفة، ومراجع النّحو العديدة؛ حيث استثارني ذلك العدول في آياتٍ متجاوراتٍ بما يشي بدقّةٍ لُغويّةٍ تبهر العقول وتأخذ بنواصي القلوب، وأنّ الأمر لم يوضع اعتباطاً. ومن النتائج التي توصّل البحث إليها من خلال استقراء النّصّ القرآنيّ بنظرة دلاليّة سياقيّة ما يأتي:

١- يعدل السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح ويعبّر بالمصدر المؤوّل إذا ارتبط الحدث باحتماليّة الوقوع كقوله - تعالى -: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ **أَن يَقْتُلُونِ** ﴿١٤﴾ قَالَ **كَلَّا** ﴾، **و** ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ **أَن يَفْتِنَكُمُ** الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً ﴾.

أو ارتباط الحدث باختيار في أداء الفريضة، أو الأمر الإلهيّ، ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ **وَأَن تَصُومُواْ** خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ **وكقوله - تعالى -**: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ **وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ** إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ

كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ **و** ﴿ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ **أَن تَأْخُذُواْ** مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ **و** ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا **أَن تُعَذِّبَ** وَإِمَّا **أَن تَتَّخِذَ** فِيهِمْ حُسْناً ﴾.

أو أنّ الأمـر أو الواقعـة لم تحدث إلا مرّة واحدة، ولم تتكرر كقوله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ **أَنْ خَلَقَكُم** مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ **أَنْ خَلَقَ** لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

أو أنّ الحدث لم يظهر على مسرح الأحداث إطلاقاً، كقوله – تعالى –: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ **أَنْ أَسْأَلَكَ** مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ و ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ **أَن يَسْتَغْفِرُواْ** لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾.

أو أنّ للحدث أجلاً محدداً ينقضي بعده ولا يستمرّ كقوله – تعالى –: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ **أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ** بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾.

أو يعبّر القرآن بالمصدر المؤوّل عن أمرٍ يتحقق منه جانبٌ ولا يتحقق الجانب الآخر كقوله – سبحانه –: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُواْ **أَن تَعْدِلُواْ** بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾؛ حيث هناك عدلٌ لا يتحقق، وهو العدل الحُبّيّ أو العدل القلبيّ، وهناك عدلٌ يتحقق وهو العدل الماديّ.

٢- يعبّر السّياق القرآنيّ بالمصدر الصّريح إذا كان الحدثُ واقعاً لا محالة كقوله – تعالى –: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ **قَتْلَ** أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾، وقوله – سبحانه –: ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ **بِسُؤَالِ** نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾، و ﴿ وَمَا كَانَ **اسْتِغْفَارُ** إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾، **و** ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ **بِاتِّخَاذِكُمُ** الْعِجْلَ ﴾، **و** ﴿ وَمَن يُرِدِ اللّهُ **فِتْنَتَهُ** فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً ﴾.

أو كان فرضاً من العبادات المفروضة أو أمراً إلهياً لا اختيار فيها، ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ **بِالْعَدْلِ** وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى ﴾.

أو دلّ على قدرة هائلة بها يقينٌ وثبات واستمراريّة، كقوله – تعالى –: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ **خَلْقُ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى **جَمْعِهِمْ** إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾، ﴿ وَكَذَلِكَ **أَخْذُ** رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ **أَخْذَهُ** أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾.

ومن تلك الإشارات الدلاليّة داخل نطاق البحث وخاتمته تظهر لنا علّة العدول عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل من خلال نصوص القرآن الكريم المتّسمة بالدّقة اللّغويّة والدلاليّة، ومعها نستحضر قوله – تعالى –: ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً** ﴾.

وأخيراً أدعو الله أنْ يجعل تلك التأمّلات والقراءات في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون، وأنْ ينفع بها المسلمين أجمعين، آمين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

الهوامش

(١) د. إسلام عبد السّلام، **اسم الفاعل بين التّنوين والإضافة في القرآن الكريم (دراسة دلاليّة)**، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم، العدد «٢٠»، ٢٠٠٨م.

(٢) د. إسلام عبد السّلام، **أثر السّياق في بيان الأوجه الإعرابيّة «دراسة تطبيقيّة على آي القرآن الكريم»**، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة القاهرة، «العدد «٦٠، ٢٠١١م.

(٣) التّوبة: ١١٣ – ١١٤.

(٤) الرّوم: ٢٠ – ٢٢.

(٥) د. رجب حجّاج، **المصدر المركّب في القرآن الكريم: دراسة نحويّة دلاليّة**، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠١١م، ص٣.

(٦) طالع مادة «عدل» في: ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، و الراغب الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: د. محمّد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصريّة.

(٧) الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د. ت، ج ٢/ ٣٨ – ٣٩.

(٨) الأزهريّ، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السّلام هارون، الدار القوميّة العربيّة للطباعة، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج ٢ /٢٠٩.

(٩) ابن السّرّاج، **الأصول في النّحو**، ط٢، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج ٢/٨٨.

(١٠) الجرجاني، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م، ١٠٠٧ وما بعدها.

(١١) ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: ح.الفاخوري، دار الجيل بيروت، ط١، د.ت، ١/ ٣٨٣.

(١٢) د. محمّد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوب**، ط١، مكتبة لبنان، لونجمان، ١٩٩٤م، ص٢٦٨.

(١٣) د. عبد الحميد هنداوي، **الإعجاز الصّرفيّ في القرآن الكريم**» دراسة نظريّة تطبيقيّة»، ط١، المكتبة العصريّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٤١.

(١٤) د. عبد العزيز عبد الله، **ظاهرة العدول بين البلاغة العربيّة والأسلوبيّة الحديثة** «رسالة دكتوراه»، كلّيّة الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٠م، ص ٣٧.

(١٥) ابن منظور، **لسان العرب** مادّة (ص، د، ر).

(١٦) السّهيلي، **نتائج الفكر في النّحو**، تحقيق: الشّيخ عادل عبد الموجود، الشّيخ علي معوض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٥٣، ٥٨.

(١٧) عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ط١٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ج١٨١/٣.

(١٨) طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **ارتشاف الضّرب من لسان العرب**، تحقيق: د.رجب عثمان محمّد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ١٩٩٨م، ص٩٩١، ٩٩٢، عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج٤٠٧/١.

(١٩) عبدالقاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود شاكر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، طبعة مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ص ٨١.

(٢٠) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢٥/١، ٢٦.

(٢١) ابن قيم الجوزية، **بدائع الفوائد**، تحقيق: علي بن محمّد العمران، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، د.ت، ج١٣١٤/٤.

(٢٢) عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج٤١٧/١، ٤١٨.

(٢٣) د. طه الجندي، **المصدر المؤوّل: بحث في التركيب والدلالة**، دار الثقافة العربيّة، ص٦٢ وما بعدها «بتصرّف»

(٢٤) طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ط١، تحقيق: الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ج٤٧٦/٣ وما بعدها، وأبا السعود محمد بن العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (**تفسير أبي السعود**)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت، ج٣٨/٢ وما بعدها، الرّازي، **تفسير الفخر الرّازي** (المشتهر بالتّفسير الكبير)، ط١، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج١١ / ٢٠٨ وما بعدها، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: يوسف الحماديّ، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.ج٢١/٢، السّمين الحلبيّ، **الدّرّ المصون في علم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ت، ج٢٤٠/٤ وما بعدها، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٨٧٤/١٥ وما بعدها، تفسير **الشّعراوي**، ج٣٠٦٧/٥، **تفسير الطبري** ٨/ ٣٢٣، ابن عاشور، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدار التّونسيّة للنشر، ١٩٨٤م، ج١٦٨/٦ وما بعدها.

(٢٥) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢٥٩٠/٥١.

(٢٦) طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٩/٧، أبا السعود العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج ٢٣٧/٦.

(٢٧) الزّجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتاب، بيروت،

١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج٤/٨٥، وطالع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د.عبد الله التّركي، ط١، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج١٦/١٤.

(٢٨) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ١٣٥/٢.

(٢٩) البقرة: ١٧٨.

(٣٠) البقرة: ١٨٠.

(٣١) البقرة: ١٨٣.

(٣٢) البقرة:٢١٦.

(٣٣) البقرة: ٢٤٦.

(٣٤) البقرة: ٢٤٦.

(٣٥) طالع الآلوسيّ البغدادي، شهاب الدين السيّد محمود، **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت، ج٢/٥٩، أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج٢/٤٢، ٤٣، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج١/١٩٩، **تفسير الرّازي**، ج٥/٨٥، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢/١٧١، محمّد متولي الشّعراوي، **تفسير الشّعراوي**، طبعة دار أخبار اليوم، ج٢/٧٧٠، ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج٢/١٦٢.

(٣٦) طالع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٣/١٤٩.

(٣٧) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ٤/٢٩٤.

(٣٨) النّساء:٢٢.

(٣٩) تفسير **الرّازي**، ج١٠/٣٧، الزّجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ٢/٣٥، الزمخشريّ، **الكشّاف** ١/٤٣٤، السّمين الحلبيّ، **الدّرّ المصون**، ج٣/٦٤٥.

(٤٠) القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦/١٩٧.

(٤١) **تفسير الشّعراوي**، ج٤/٢١٠٩.

(٤٢) طالع أبا حيّان الأندلسيّ، **البحر المحيط**، ج ٣/٢٢١، ابن عطيّة الأندلسيّ، **المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السّلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٢/٣١.

(٤٣) **تفسير الرّازي**، ج١٠/٣٧، الزّجاج، **معاني القرآن**، ج ٢/٣٥، الزّمخشري، **الكشّاف**، ج١/٤٣٤، السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**، ج٣/٦٤٥.

(٤٤) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج٤/٣٠١.

(٤٥) الشّورى:٢٩.

(٤٦) الشّورى:٢٨ – ٣٢.

(٤٧) طالع سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣١٥٨/٦٣.

(٤٨) سنشير لاحقاً إلى أنّ الآيات القرآنيّة عرضت لصورة من صور الخلق عدل فيها السّياق القرآنيّ عن المصدر الصّريح إلى المصدر المؤوّل في قوله – تعالى –: «**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ(٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» الرّوم:٢٠، ٢١. طالع ص ٢٧، ٢٨ من هذا البحث.

(٤٩) طالع سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٣١٥٨/٦٣.

(٥٠) الرّوم: ٢٠، ٢١.

(٥١) الرّوم:٢٢.

(٥٢) الرّوم: ٢٥.

(٥٣) المؤمنون: ١٢.

(٥٤) ص:٧١.

(٥٥) الحجر: ٢٨.

(٥٦) لجنة من علماء الأزهر، **الوسيط في تفسير القرآن**، مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م المجلد الثاني، الحزب السابع والعشرون ص ٥٣٧.

(٥٧) المؤمنون:١٢ – ١٤.

(٥٨) الرّوم: ٢١.

(٥٩) طالع في ذلك الآلوسي، **روح المعاني** ٣٠/٢١، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج ٥٦/٧، إسماعيل بن عمر ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج ٣٠٩/٦.

(٦٠) النّساء:١

(٦١) الأعراف:١٨٩.

(٦٢) مسلم النيسابوري، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق:أبو قتيبة الفارايابي، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.كتاب الرضاع، باب الوصيّة بالنّساء، ص ٦٧٢، رقم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٦٣) ابـن عاشـور، **التّحريـر والتّنويـر**، ج٢١٥/٤ وطالع الآلوسـي، روح المعـاني، ج ١٨١/٤، ١٨٢، وتفسير ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٢٠٦/٢.

(٦٤) سـيّد قطب، **في ظلال القرآن، ج** ٥٧٤/٩، وطالع أبا السـعود، **إرشاد العقل السليم** ٣٠٢/٣، سيّد قطـب، **في ظـلال القـرآن**، ج١٤١١/٢٦. **تفسـير الشّـعراوي**، ج ٤٥١٣/٨، ابن كثير، **تفسـير القرآن العظيم** ٥٢٤/٣.

(٦٥) الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٨٢/٤.

(٦٦) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٥٧٥/٩.

(٦٧) النّساء:٨٢.

(٦٨) طالع ص١٦ من هذا البحث.

(٦٩) الرّوم:٢٢.

(٧٠) لقمان:١٠.

(٧١) الرّوم: ٨

(٧٢) الآلوسي، **روح المعاني**، ج ٣٥/٢١، وطالع أبا السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٥٧/٧، ٥٨.

(٧٣) الـرّوم:٨، قـال – تعالـى –: «**مَـا خَلَـقَ اللَّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَـقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى**».

(٧٤) الأنبياء:١٠٤

(٧٥) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ١٧/ ١٥٨.

(٧٦) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤٧/ ٢٣٩٩.

(٧٧) سـيّد قطـب، **في ظلال القـرآن**، ج٢٤٧/٤، وطالع **تفسـير الرّازي**، ج١٠٦/٦، ابـن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ٣٠٦/١.

(٧٨) الإمـام الحافـظ أبـو عبد الله بن محمد بن إبراهيم البخاريّ، **صـحيح البخاريّ**، تحقيـق: أبو عبد الله علوش، ط٢، مكتبـة الرشـيد، الرياضـ، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، كتـاب الطلاق، بـاب الخُلع، صـ٧٥٤، رقم (٥٢٧)، سـيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج٢٤٨/٤ وطالع **تفسـير الرّازي**، ج ١٠٩/٦، الطبري، محمّد بن جريـر **تفسـير الطبري** (جامـع البيان عن تأويل آي القـرآن): تحقيق د. عبد اللـه التركي وآخرين، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ج١٣٨/٤ وما بعدها، والقرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧٩/٤ وما بعدها.

(٧٩) السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**، ج٤٤٦/٢.

(٨٠) طالع الزّمخشري، **الكشّاف**، ج ٢٤٨/١، وطالع ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج٤١٠/٢، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج ٣٠٧/١.

(٨١) هود: ١٠٢.

(٨٢) هود: ١٠١ – ١٠٢.

(٨٣) طالع في ذلك سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٣٦/ ١٨٧٠ وما بعدها، **في ظلال القرآن**، ج ٣٧/ ١٩٢٦ وما بعدها.

(٨٤) هود: ٤٤.

(٨٥) هود: ٥٨ – ٦٠.

(٨٦) هود: ١٠٠ – ١٠٢.

(٨٧) البخاريّ، **صحيح البخاريّ**، كتاب التفسير – سورة هود، ص ٦٤٧، رقم (٤٦٨٦)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البرّ والصّلة والآداب، ص١٢٠٠، رقم (٢٥٨٣).

(٨٨) تفسير الشّعراوي، ج ٦٦٧٣/١١.

(٨٩) هود: ٤٢ – ٤٧.

(٩٠) طالع في ذلك ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير** ج١٢/ ٨٣ ما بعدها.

(٩١) مريم: ٣، ٤.

(٩٢) الزّمخشري، **الكشاف**، ج ٤٠٦/٢.

(٩٣) المائدة: ٦، وطالع الزّمخشري، **الكشّاف**، ج ١٠/٢ في حديثه عن التعبير عن إرادة الفعل بالفعل.

(٩٤) الكلام في ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ١٢/ ٨٤.

(٩٥) «**إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**».

(٩٦) أُمَيَّة بن أبي الصّلت، **ديوان أُمَيّة بن أبي الصّلت**، ط١، تحقيق: د. سجيع جميل، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٧، وطالع أبا بكر محمّد بن الحسن بن دريد، **الاشتقاق**، ط١، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٤٣.

(٩٧) التّوبة: ١١٢.

(٩٨) طالع ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج١٢/ ٨٧.

(٩٩) المرجع السابق، ج١٢/ ٨٨.

(١٠٠) تفسير **الشّعراوي**، ج١١/ ٦٤٨٥

(١٠١) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٦٠/ ٣٠١٨.

(١٠٢) التّوبة: ٨٠.

(١٠٣) التّوبة ٧٧ – ٨٠.

(١٠٤) البخاريّ، **صحيح البخاريّ** كتاب التفسير – التوبة، ص ٦٤٣، رقم (٤٦٧٠)، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، رضي الله عنهم، ص١١٢٥، رقم (٢٤٠٠).

(١٠٥) المنافقون:٥.

(١٠٦) طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج ٧٧/٥ وما بعدها، أبا السّعود، **إرشاد العقل السليم** ج٨٧/٤، **تفسير الرّازي**، ج ٤٩/١٦ وما بعدها، **تفسير الشّعراوي**، ج ٥٣٦٦/٩ وما بعدها، ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ٢٧٧/١٠ وما بعدها.

(١٠٧) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج١١/ ٤٤.

(١٠٨) إبراهيم: ٣٩ – ٤١.

(١٠٩) الشّعراء: ٨٦.

(١١٠) مريم: ٤٦ – ٤٧.

(١١١) ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ١٤/ ٢٥٤.

(١١٢) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٢١٩٠/٤٢

(١١٣) القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤١٢/١٢.

(١١٤) الملك: ١٤.

(١١٥) النّساء: ١٢٩.

(١١٦) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٧٧٠/١٣ وطالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٦٣/٥، **تفسير الشّعراوي**، ج ٢٦٨٩/٥ ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ٢١٨/٥.

(١١٧) أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالميّة، دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ج٣/ ٤٦٩، رقم(٢١٣٤)، وطالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٦٣/٥، أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج٣٨١/٣، تفسير **الرازي**، ج١١/ ٦٨، السّيوطي، جلال الدين، **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، ط١ تحقيق: د.عبدالله التركيّ وآخرين، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٧٠/٥.

(١١٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج ٢١٨/٥.

(١١٩) طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ٢٤٤/١٦، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج ٢٤٢/٥، ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج٢٦/١٦.

(١٢٠) طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج٣٤/١٦، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج ٢٤٢/٥، ٢٤٣، الدرويش، محيي الدّين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ط٧، دار ابن كثير للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م المجلد الرابع ٥٤٠/١٦، تفسير **الرّازي**، ج ١٦٨/٢١، الفرّاء، يحيى بن زكريا، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ج١٥٨/٢ القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣٧٢/٣.

(١٢١) طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج ١٥٢/٦، **تفسير الشّعراوي**، ج٨٩٨٣/١٤ وما بعدها، ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ٢٦/١٦، ٢٧.

(١٢٢) الأعراف: ١٣٨.

(١٢٣) طه: ٨٣ – ٨٨.

(١٢٤) طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ٢٥٩/١، أبا السعود، **إرشاد العقل السليم** ج ١٠٢/١.

(١٢٥) البقرة:٩٢ – ٩٣.

(١٢٦) سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٩١/٢.

(١٢٧) النّساء:١٠١.

(١٢٨) طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٣١/٥، أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج ٣٥٣/٣، تفسير **الرّازي**، ج ١٧/١١، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٧٤٧/١٢، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٧٢/٧.

(١٢٩) طالع رضي الدين، **شرح الكافية** تحقيق: يوسف حسن عمر، مطبعة الجامعة الليبيّة، د. ت.٣ /١٥٨، الزركشيّ، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٣٧٤/٢، سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج ٥٨/٣، عبّاس حسن، **النّحو الوافي**، ج ٢٧٩/٢، محمّد عبد الخالق عضيمة، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، د.ت، ج١٧٣/١، محمّد بن يزيد المبرد، **المقتضب**، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ج ٥٤/٢ وما بعدها.

(١٣٠) طالع الآلوسي، **روح المعاني**، ج ١٣٢/٥، تفسير الرّازي، ج١٨/١١، الزمخشريّ، **الكشّاف**، ج ٤٨٤/١، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧٣/٧.

(١٣١) السّمين الحلبي، **الدّرّ المصون**، ج٨٣/٤.

(١٣٢) طالع رضـي الدين، **شرح الكافية، ج** ١٨٥/٣ ، الزركشي، **البرهان، ج**٣٧٤/٢، سيبويه، **الكتاب** ٥٨/٣، عضيمة، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج**٦٢٨/١، المبرد، المقتضب، ج ٥٤/٢ وما بعدها.

(١٣٣) رضي الدين، **شرح الكافية**، ج١٨٥/٣.

(١٣٤) القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩/٧

(١٣٥) طالع أبا حيّان، **البحر المحيط**، ج٤٩٨/١، سيّد قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٨٩٢/١٥ وما بعدها، الطّبري، **تفسير الطبري**، ج٤١٣/٨ وما بعدها، ابن عاشور، **التّحرير والتّنوير**، ج ١٩٤/٦ وما بعدها، القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤٠/٧ وما بعدها،

(١٣٦) ابـن عاشـور، **التّحرير والتّنوير**، ج ٢٠٠/٦، وطالـع القرطبيّ، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٢٨٥/١، ٣٦٧، ٣١/٥، ٤٨٤/٧

(١٣٧) الطّبري، **تفسير الطّبري**، ج ٤٢٧/٨.

(١٣٨) تفسير **الرّازي**، ج ١١/ ٢٤٠.

المصادر والمراجع

١ – الآلوسي البغداديّ، أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، د.ت.

٢ – أبو حيّان الأندلسيّ، محمّد بن يوسف:

– ارتشاف الضّرب من لسان العرب، تحقيق: د.رجب عثمان محمّد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ١٩٩٨م.

– البحر المحيط، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣ – أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، دار الرسالة العالميّة، دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٤ – أبو السّعود محمّد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السّعود)**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٥ – الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السّلام هارون وآخرين، الدار القوميّة العربيّة للطباعة، مصر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٦ – أُمَيَّة بن أبي الصّلت، **ديوان أُمَيّة بن أبي الصّلت**، ط١، تحقيق: د. سجيع جميل، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.

٧ – البخاريّ، الإمام الحافظ أبو عبد الله بن محمّد بن إبراهيم، **صحيح البخاريّ**، تحقيق: أبو عبد الله علوش، ط٢، مكتبة الرشيد، الرّياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨ – الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **المقتصد في شرح الإيضاح**، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، العراق، ١٩٨٢م.

٩ – د. الجندي، طه، المصدر **المؤوّل بحثٌ في التّركيب والدلالة**، دار الثقافة العربية، د.ت.

١٠ – د. حجّاج، رجب عبد القادر، **المصدر المركّب في القرآن الكريم: دراسة نحويّة دلاليّة**، مجلّة كلّيّة دار العلوم، جامعة الفيوم، ٢٠١١م.

١١ – حسن، عبّاس، **النّحو الوافي**، ط١٣، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٢ – الدّرويش، محيي الدّين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، ط٧، دار ابن كثير للطّباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٣ – ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن، **الاشتقاق**، ط١، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٤ – الرّازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدّين عمر، **تفسير الفخر الرّازي** (المشتهر بالتفسير الكبير)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠١هـ.

١٥ – الراغب الأصبهاني، الحسين بن محمّد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: د. محمّد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

١٦ – رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، **شرح الكافية**، تحقيق: يوسف حسن عمر، مطبعة الجامعة الليبية، د. ت.

١٧ – الزجاج، إبراهيم بن السّريّ، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتاب، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨ – الزركشيّ، بدر الدين محمّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٩ – الزمخشريّ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، الفجالة، د.ت.

٢٠ – ابن السّراج، أبو بكر محمّد بن سهل، **الأصول في النّحو**، ط٢، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢١ – السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، **الدّرّ المصون في علم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمّد الخرّاط، دار القلم، دمشق، د.ت.

٢٢ – السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله، **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، الشيخ على معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٣ – السيوطي، جلال الدين، **الدّرّ المنثور في التفسير بالمأثور**، ط١ تحقيق: د.عبدالله التركي وآخرين، مركز هجر للبحوث والدراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٤ – سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٥ – الشّعراوي، محمّد متولي، **تفسير الشّعراوي**، طبعة دار أخبار اليوم.

٢٦ – الطّبري، محمّد بن جرير، **تفسير الطّبري** (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: د. عبد الله التركيّ وآخرين، هجر للطباعة والنّشر، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٧ – ابن عاشور، محمّد الطّاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدار التّونسيّة للنّشر، ١٩٨٤م.

٢٨ – د. عبد السّلام، إسلام محمد:

– اسم الفاعل بين التنوين والإضافة في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، مجلّة كلّيّة دار العلوم –

جامعة الفيوم، العدد «٢٠»، ٢٠٠٨م.

– أثـر السّـياق في بيـان الأوجه الإعرابيّة «دراسـة تطبيقية علـى آي القرآن الكريم»، مجلّـة كلّيّة دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد «٦٠»، ٢٠١١م.

٢٩ – د. عبد المطلب، محمّد، **البلاغة والأسلوب**، ط١، مكبة لبنان، لونجمان، ١٩٩٤م.

٣٠ – عضيمة، محمّد عبد الخالق، **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

٣١ – ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيزفي تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٢ – ابـن عقيـل، عبـد الله العقيلي المصـري، **شـرح ابـن عقيل علـى ألفيّة ابن مالـك**، تحقيق: ح. الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.

٣٣ – الفرّاء، يحيى بن زكريا، **معاني القرآن**، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣٤ – الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د. ت.

٣٥ – القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: د.عبد الله التّركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٦ – قطب، سيّد، **في ظلال القرآن**، ط١٧، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٣٧ – ابـن كثـير، أبـو الفداء إسـماعيل بن عمر، **تفسـير القـرآن العظيم**، تحقيق: سـامي بن محمّد السّلامة، ط٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣٨ – لجنة من علماء الأزهر، **الوسـيط في تفسـير القرآن**، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٩ – المبرد، محمد بن يزيد، **المقتضـب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضـيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٤٠ – مسـلم النيسـابوري، الإمام الحافظ أبو الحسين مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق:أبو قتيبة الفاريابي، ط١، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤١ – د. محمّد، عبد العزيز عبد الله/ ظاهرة العدول بين البلاغة العربية والأسلوبية الحديثة «رسالة دكتوراه»، كلّيّة الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٠م.

٤٢ – ابن منظور، محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٤٣ – د. هنـداوي، د. عبـد الحميـد أحمـد يوسـف، **الإعجاز الصـرفي في القرآن الكريم:دراسـة نظرية تطبيقية**، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

Reverse from the Explicit Verbal Noun to the Implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an: A Semantic Study

Abstract

This research, "Reverse from the Explicit Verbal Noun to the Implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an: A Semantic Study", belongs to the semantic studies conducted on the Holy Qur'an. The topic has been chosen due to its importance in identification of the semantic implications in the reverse from the explicit Verbal Noun to the implicit Verbal Noun used in one–stem forms, as shown in this Holy verse: "It is not for the Prophet and those who have believed to ask forgiveness for the polytheists, even if they were relatives, after it has become clear to them that they are companions of Hellfire. And the request of forgiveness of Abraham for his father was only because of a promise he had made to him. But when it became apparent to Abraham that his father was an enemy to Allah, he disassociated himself from him. Indeed was Abraham compassionate and patient." It is clear that Allah the Almighty has reversed the explicit Verbal Noun "the request of forgiveness" to the implicit Verbal Noun "to ask forgiveness", then He, the Almighty, uses again the explicit Verbal Noun.

Due to the type of this study, it is divided into: an introduction, including aim of the study, its method, and its plan; a preface, including a linguistic and an idiomatic defintion of "Reverse", as well as the definition of the "Explicit and Implicit Verbal Noun " - which is the origin and which is the branch of the other, in order to affirm why such title has been chosen; a semantic study with examples of reverse from the explicit Verbal Noun to the implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an; and a conclusion, including findings of the study such as: the Qur'anic context is reversed from the explicit Verbal Noun to the implicit Verbal Noun if the event is connected with probability of occurance, as shown in the Holy verse: "And they have upon me a [claim due to] sin, so I fear that they will kill me. [Allah] said, "No." The Qur'anic context uses also the explicit Verbal Noun if the event will inevitably occur, as expressed in the Holy verse: "And his soul permitted to him the murder of his brother, so he killed him".

Finally, I pray to God to make all my contemplation and readings expressed in this study beneficial for all Muslims. "I only intend reform as much as I am able. And my success is not but through Allah. Upon him I have relied, and to Him I return."

The Author

Dr. Islam Mohammad Abd Al - salam Ahmad

- A Ph.D. in Grammar, Morphology and Prosody, Faculty of Dar Al - Olom, Cairo University, Fayoum Branch
- Assistant Professor of Grammar, Morphology and Prosody and Head of Department of Languages and Translation, Higher Institute for Specific Studies

Publications:

1. "Explaining Distinction and Correcting Witnesses For Aljami Assahih", **Journal of Faculty of Dar Al - Olom**. Fayoum: Fayoum University, 2004.
2. "Anaphora in the Text Grammar: An Applied Study to Surat Al - esraa." Fayoum University: Faculty of Dar Al - Olom Conference, 2006.
3. "Ellipsis and its Role on Textual Coherence: An Applied Study to Surat Al - Baqra" Fikr Wa Ibda'. Ain Shams University, 2007.
4. "Grammatical Issues by Al - akhfash Al - awsat: His Views about the Qur'an Interpretation and Linguists Writings about Him". **Dar Al - Olom Journal**. Fayoum: Fayoum University, 2007.
5. "The active Participle between Nunnation and Addition in the Holy Qur'an: A Semantic Study "**Journal of King Faisl University**. Saudi Arabia, 2009.
6. " The Impact of Context in Explaining Grammatical Functions: An Applied Study to Qur'anic Verses". **Dar Al - Olom Journal**. Cairo: Cairo University, 2011.
7. Al - a'lam Ashantamari's Approach and Views in his Book Implications in Explaining Sībawayh Book. Ph.D Thesis. Faoum University: Faculty of Dar Al - Olom, 2003.
8. "The Structure of Nominal Sentence in the Dewan of Abu Tamam." An M.A. Thesis. Fayoum University: Faculty of Dar Al - Olom, 1999.

Monogragh 417

Reverse from the Explicit Verbal Noun to the Implicit Verbal Noun in the Holy Qur'an: A Semantic Study

Dr. Islam Mohammad Abd Al - Salam

Department of Languages and Translation

Higher Institute for Specific Studies (Al - Haram)

Egypt